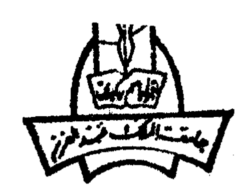




جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الفطرة والعقيدة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة
الماجستير
في العقيدة الإسلامية



إعداد
حافظ محمد حميد الجعبري

إشراف
الدكتور محمد يوسف الشيخ
الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالكلية

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :-

١- " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا : بَلَى ! شَهِدْنَا ... "

الأعراف (١٧٢)

٢- فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "

الروم (٣٠)

وقال صلى الله عليه وسلم :-

" كلّ مولودٍ يولد على الفطرةِ فأبواه يُهوّدانِهِ أو ينصّرانِهِ أو يُمجّسانِهِ كما تُنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء ، هل تحسّون فيها من جدعاء ؟ "

رواه أبو هريرة - والحديث (متفق عليه)

إهداء

إلى أصحاب النظريات والمبادئ الضالة ، الذين بدأوا وساروا من نقطة الإلحاد والمادية .

إلى الشباب المسلم ، الذى سار وراء هذا التيار الإلحادي الجارف . إلى الذين نبذوا الدين بالعراء

إن الحياة البشرية اليوم فى حاجة إلى أن ترجع إلى فطرتها التى فطرها الله عليها ، وهى لا يمكن أن ترجع إلى هذه الفطرة بمبادئ ونظريات أثبت العلم فشلها وزيفها ...

فإلى هؤلاء أقدم هذا العمل المتواضع .

والله الموفق إلى ما فيه الخير والصواب .

حافظ الجعبري

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلـــين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين .

وبعـــد :

فيسعدني ان اتقدم بالشكر الجزيل لجميع العاملين في كلية الشريعـــة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . واخص بالذكـــر عميد الكلية سعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد ، وذلك لما قدموه لي مـــن مساعدة كان لها اثر كبير في انجاز هذا البحث .

كما واتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة استاذي الكبير الشيخ محمد بن يوسف الشيخ الذي اشرف على رسالتي ، والذي اعطاني من وقته ، وراحته ، ونصحـــه الكثير الكثير مما كان له اكبر الاثر في اخراج هذه الرسالة بهذا الشكل .

والحق انه كان ابا نصوحا ، واستاذا مخلصا ، ومربيا فاضلا ، فجزاه اللـــه عنا خير الجزاء .

ولا يفوتني ان اشكر كل من كانت له يد من نصح او توجيه او ارشاد لي اثناء البحث والدراسة .

والله اسأل ان يوفقني ، ويوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، ولما فيه خير المسلمين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وبارك على رسوله الامين ، وصحبه اجمعين . .

الفهـــرس

الصفحـــة

الصفحة

الصفحــة

المقدمـــة

ان الحمد لله ،نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور انفسنـــا وسيئات اعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ،ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشــد ا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ،واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

" يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون "(١).

" يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـــا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان اللـــــه كان عليكم رقيبا "(٢).

" يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكــــم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما "(٣).

وبعـــد :

فان العقائد الدينية فى كل شريعة ،اساسها ولبنتها وجود اله . هـــذا الاله الذى جاءت الشرائع بنعوت كثيرة له ،كعلمه ،وقدمه ،وقدرته وارادتـــه .... الى آخر هذه الصفات ،لابد ان يرتكز وجوده على الفطرة .

فالفطرة هى اللسان الصادق الذى لا ينازع ،اما النظر والاستدلال العقلـــى

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الاحزاب : ٧٠، ٧١ .

فالعقول فيه تختلف،ونحن فى غنية عن الشواهد على ذلك . فكل علم مشحـــون بالنظريات المختلفة والمتناقضة . أما الفطرة فأمر وجدانى لا يختلف فيه الناس .

فاذا كان قوم فى سفينة فى البحر،وقد هبت الرياح العاصفة عليهم ،وقـد اشرفت السفينة على الغرق ،فان الناس جميعا ،على اختلاف الوانهم والسنتهـم وملـلهم يلجأون بفطرتهم التى تيقظت فى وقت الضراء والبأساء الى بارىء الكـون وصانعه . . .الى الله .

هذا الاساس هو اللبنة الاولى فى علم العقائد ،فعلى اساسه نبحث فـى تنزيهاته تعالى وكمالاته ،وما يقتضيه علمه وحكمته من ارسال الرسل وهداية النـاس بالشرائع الحقة . ومجازاتهم ان خيرا فخير،وان شرا فشر .

فاللبنة الاولى شعور الانسان فطريا بمدبر لهذا الكون ،وبدون هـــذا الاساس لا يستقيم الحديث العقدى ،ولعل فى معارضة الاقوام والامم لانبيائهـم ورسلهم حين يعارضونهم ويطالبونهم الدليل والحجة،دليلا على أن الاعتراف بالاله امر فطرى مركوز ومستكن فى زوايا النفوس البشرية ،وهم انما يطلبون تصديق اللـه لهم ،فالله فى خلقه فطرى .

ومن هنا ،ولاجل هذا اخترت هذا الموضوع رسالة اكتب فيها عن الفطـرة واثباتها ،وعن الغواشى التى تحجبها ،والخصائص التى تجليها .

ولقد رتبت الرسالة على تمهيد وباب واحد وخاتمة .

اما التمهيد فقد بينت فيه المعنى اللغوى للفطرة،وذكرت معنى العقيـدة اللغوى ،والاصطلاحى ،وصلة المعنيين ،والعلاقة القائمة بينهما . وبينت التـلازم

القائم بين العقيدة والدين وان الاول اساس الثاني .

واما الباب : فقد جعلته في ثلاثة فصول ، مهدت لها ببيان سبب الاختلاف في المعنى المراد بالفطرة .

وفي الفصل الاول ، ذكرت المذاهب والاقوال الواردة في معنى الفطرة وبينت ان المشهور من هذه المذاهب ما قاله السلف رضوان الله عليهم ، وهو ان الفطرة هي الاسلام .

ثم ذكرت بقية المذاهب ، واوردت ادلة كل مذهب ، والاعتراضات التي وردت عليه ، وردوده . وناقشت كل مذهب على حدة ، وعقدت مقارنة وموازنة بين مجموع تلك المذاهب .

اما الفصل الثاني فقد ذكرت فيه الرأي المختار في هذا الموضوع ، وهو ان الانسان مفطور على العقيدة الاسلامية الاولى بمعنى انه مفطور على معرفة الله تعالى ربا وخالقا . وتكلمت في هذا الفصل على العوامل والغواشي التي تختفي وراءها هذه المعرفة ، وبينت ان للفطرة في الكون والانسان ما يجليها ويظهرها ويرشدها الى هذه المعرفة .

وفي الفصل الثالث سقت الادلة والشواهد التي تثبت بها الفطرة وذكرت مدى التزام الانسان واحترامه لهذه الفطرة . ثم ختمت الفصل بعقد مقارنة وموازنة بين ما اخترته في هذا الموضوع وبين المذاهب الواردة فيه .

واما الخاتمة - نسأل الله حسنها - فقد بينت فيها النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث .

وبهذا اكون قد انهيت موضوع الرسالة التى اتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة فى جامعة الملك عبد العزيز لنيل درجة الماجستير فى الشريعة الاسلامية ـ فرع العقيدة .

واملى بالله كبير ان اكون قد احسنت اختيار هذا الموضوع، وقد وفقت فيه ووفيته ماهو جدير به من عناية واهتمام، راجيا من المولى عز وجل التوفيق والسداد فانه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

تمهيد في معنى الفطرة والعقيدة

١ ـ معنى الفطرة في اللغة

٢ ـ العقيدة لغة واصطلاحا

مقدمـــة

يحسن بنا ونحن نبحث في الفطرة والعقيدة الاسلامية ، أن نقـــف قليلا عند كلمتي : (فطرة) ، (عقيدة) للتعريف بهما . وكلمـــة أخرى أرى أن لها مكانا هنا ، وأنها تثير الانتباه في الحديث عـــن العقيدة الاسلامية ، وهي كلمة : " الدين " .

فالعقيدة والدين عنصران متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الاخـــر لان احدهما بمنزلة الاساس وهو : العقيدة والاخر بمنزلة البناء وهو : الديـــن فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه .

أولا : معنى الفطـــرة :

الفطرة مأخوذة من الفعل الثلاثي — فطر — على وزن فعـــل والفطرة منه : الحالة ، كالجلسة .

يقال : جلس جلسة — بكسر الجيم — وفطر فطرة : وهي بمعنى الخلقة .

وفي معجم مقاييس اللغة (١) : فطر : الفاء والطاء والراء اصـــل صحيح يدل على فتح شيء وابرازه ومنه الفطرة : وهي الخلقة .

وفي لسان العرب (٢) : فطرة جمعها فطر — بكسر الفاء وفتح الطاء .
يقال : كسرة وكسر . وفطر تجمع ايضا على فطرات ، مثل كســـر وكسرات .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، جـ ٤ ص ٥١٠ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور الافريقي المصري ، المجلد الخامس ص ٥٩ .

وقد عطف صاحب المعجم ، الابراز على الفتح في قوله : (يدل على فتح شيء وابرازه) ، للبيان واتى بالفتح قبل الابراز لانه من اسبابه بل هو السبب الاول للابراز .

والخلقة فيها معنى البروز لان بروز الشيء هو ظهوره بعد أن كان خفيا ، وكذلك الخلقة بها ايجاد الشيء بعد ان كان معدوما ، فيتضمن ذلك البروز .

والفطرة تعني الابتداء والاختراع .
ورد في القاموس المحيط : فطر الله الخلق : خلقهم وبرأهم ، وفطر الامر : ابتدأه وأنشأه . والفطرة : هي الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم امه والدين . (١)

وفي متن اللغة : الفطرة بمعنى صدقة الفطر ، والفطرة الابتداء ، والاختراع وهو مافطر الله عليه الخلق من معرفته وهي الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه (٢) .

وفي أساس البلاغة للزمخشري (٣) : فطر الله الخلق وهو فاطر السموات

---

(١) القاموس المحيط _ للفيروز ابادي ، ج٢ ص ١١٠
(٢) متن اللغة _ محمد رضا ، المجلد الرابع ص ٤٢٥ .
(٣) أساس البلاغة ، المجلد الاول ص ٤٧٦ .
الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري جار الله ابوالقاسم من ائمة العلم بالدين ، والتفسير واللغة والادب . ولد في زمخشر من قرى خوارزم ، سافر الى مكة وتنقل في البلدان . ومن اشهر كتبه : (الكشاف في تفسير القران) ، و (اساس البلاغة) ، معتزلي المذهب توفي سنة ٥٣٨ هـ / الاعلام للزركلي ج ٨ ص ٥٥ .

اى : مبتدعها ، وافتطر الامر : ابتدعه .

والفطرة بهذا المعنى وردت ايضا فى تاج العروس(١) وفى لسان العرب .

ففى تاج العروس : فطر الله الخلق يفطرهم فطرا : خلقهم وبدأهم ، وفطر الامر : ابتدأه وأنشأه . ومنه قول ابن عباس(٢) رضى الله عنهما : (ماكنت أدرى مافاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان مختصمان فى بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتها ، أى ابتدأت حفرها) .

والفطرة : بمعنى الخلقة
أنشد ثعلب :

هون عليك فقد نال الغنى رجل ∴ فى فطرة الكلب لا بالدين والحسب

وأيضا الخلقة التى خلقت عليها المولود فى بطن امه . وبهذا فسر ابوالهيثم قوله تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله " (٣)

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس — للزبيدى . المجلد الثالث ص ٤٧٠

(٢) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . دعا له النبي عليه السلام بالفقه والحكمة فى الدين وكان يقال له حبر هذه الامة . كان عمر يقربه مع الصحابة تقديرا لسداد رايه وبلوغ علمه . تولى الامارة على البصرة فى عهد على ثم امضى اخر ايامه فى الطائف . ومات فيها عام ٦٨ هـ / الاجابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٣٠

(٣) الروم — ٣٠

قال : وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث " كل مولود يولد على الفطرة" (١) يعنى الخلقة التى ولد عليها فى رحم امه من سعادة او شقاوة . فاذا ولده يهوديان هوداه فى حكم الدنيا او نصرانيان نصراه فى الحكم او مجوسيان مجساه . وكان حكمه حكم ابويه حتى يعبر عنه لسانه فان مات قبل بلوغه مات على ماسبق له من الفطرة التى فطر عليها . فهذه فطرة المولود .

وفطرة ثانية : وهى الكلمة التى يصير بها العبد مسلما وهى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله جاء بالحق من عنده فتلك الفطرة (الدين) (٢) .

والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب (٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه علم رجلا أن يقول اذا نام قولا ، وقال عليه السلام " فانك ان مت

---

(١) هذا الحديث سياتى فيما بعد ان شاء الله وعليه مدار البحث كله .
(٢) انظر لسان العرب ، المجلد الخامس ص ٥٥ .
(٣) البراء بن عازب الانصارى الاوسى رضى الله عنه ، من الصحابة وروى انه غزى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة غزوة وشهد مع على رضى الله عنه موقعة الجمل وصفين وقتال الخوارج . نزل بالكوفة ، ومات سنة ٧٢ هـ .
الاصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ١٤٢ .

من ليلتك مت على الفطـرة" (1) . اى على الدين .

هذا مجمل لما ورد عند اهل اللغة فى معنى الفطرة ويلاحظ عليها انهـــــا تتفق جميعا فى أن معنى الفطرة : البدء والخلق .

أما معنى الفطرة فى اصطلاح الفقهاء والمحدثين وكبراء اهل العلم والتفســير فله مقام آخر نذكره فى باب هذه الرسالة .

---

(1) الحديث رواه البخارى ومسلم . متفق عليه ـ رواه البخارى فى باب الدعوات . وفى باب الوضوء . ورواه مسلم فى باب الذكر .

ثانيا : معنى العقيدة :

(١) في اللغة :

العقيدة او الاعتقاد ، مصدر اعتقد كذا اذا اتخذه عقيدة له بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان الله به .

وأصله من عقد الحبل ، وعقد البناء وما الى ذلك من الامور المادية ، ثم استعير مجازا للامور المعنوية نحو عقد البيع وعقد النكاح ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم فهو يطلق على التصديق وعلى ما يعتقد الانسان من أمور الدين .

ولبيان هذا نستعين بما ورد في معاجم اللغة :

جاء في متن اللغة : عقد الحبل اذا شده ضد حله ، وعقد بمعنى بنى عندا . وعقد اليمين والعهد : اكدهما على نفسه وعقد قلبه على كذا : اذا لزمه — اى التزمه . (١)

وعقد الشيء — بتشديد القاف — واعتقده : اذا شده ووثقه بالعقد . واعتقد كذا بقلبه : اى كان له عقيدة .

والعقد ضد الحل — وهو اصل المعنى — ومنه — عقد البيع والنكاح وغيرها (٢) والعقد : هو التصميم (٣).

---

(١) يظهر ان صحة العبارة : اذا لازمه وليس لزمه .

(٢) ويظهر من ذلك معنى الالزام في مثل هذه العقود .

(٣) متن اللغة — المجلد الرابع . ص ١٥٧ .

وفي القاموس : عقد الحبل ، وعقد البيع والعهد يعقده : اذا شــــده بمعنى ربطه والتزمه . والعقد : الضمان والعهد (١) .

واظهر التعاريف ماورد في لسان العرب : العقد نقيض الحل (٢) . يقــال : عقده يعقده عقدا وتعقادا . واعتقده كعقده . يقال عقد الحبل فهـــو معقود ومنه عقدة النكاح .

والعقد فيه معنى الالزام وفي الحديث الشريف " الخيل معقود في نواصيهـــا الخير " (٣) . اى ملازم لها كانه معقود فيها (٤) .

قال الزبيدى : والذى صرح به ائمة الاشتقاق ، ان اصل العقد نقيض الحــل يقال : عقده يعقده عقدا وتعقادا وعقده وقد انعقد وتعقد . ثم استعمل فـــى أنواع العقود من البيوعات ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم .

---

(١) القاموس المحيط جـ ١ ص ٣١٥

(٢) لعله يقصد ضده . والمعلوم ان نقيض الشيء غير ضده .

(٣) الحديث رواه البخارى في باب المناقب ٢٨ وفي باب الجهاد ٤٤ . ورواه مسلم في باب الزكاة ٢٥ ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه .
وفي رواية اخرى له " الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة " قـــال الراوى وقد رايت في داره عليه السلام سبعين فرسا .

(٤) لسان العرب ، المجلد الثالث ص ٢٩٦ .

قال ابوزيد (١) في قوله تعالى " والذين عقدت ايمانكم " (٢) معناه التوكيد ، والتغليظ كقوله تعالى " ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها " (٣) وكقوله " يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود " (٤)

قيل : العهود وقيل : الفرائض التي لزموها .

قال الزجاج : (٥) : قوله تعالى "اوفوا بالعقود " خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم (٦) والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يوجبه الدين .

وفي حديث " الدعاء لك من قلوبنا عقدة الندم " (٧) يريد عقد العزم على

(١) ابوزيد : محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد . فقيه كان احد ائمة المسلمين حافظا لمذهب الشافعي حسن النظر مشهورا بالزهد والورع خرج الى مكة فجاورها توفي بمرو سنة ٣٧١ هـ . تاريخ بغداد للبغدادي ج ١ ص ٣١٤

(٢) النساء ٣٣

(٣) النحل ٩١

(٤) المائدة ١

(٥) الزجاج : ابراهيم اليسري بن سهل عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات في بغداد وله من المؤلفات معاني القران والاشتقاق ، وخلق الانسان ... والامالي في الادب واللغة ، توفي سنة ٣١١ هـ / الاعلام جـ ٨ ص ٣٣ .

(٦) وهي التي تسمى بالاحكام الاعتقادية وعقائد اصلية ، اما العقود التي يعقدها بعضهم على بعض فهي المسماة بالعقود الشرعية .

(٧) هذا الحديث لم اجد له اصلا في كتب الحديث ولعله من كلام الصحابة .

الندامة وهو تحقيق التوبة .

ورد في معجم مقاييس اللغة : عقد : العين والقاف والدال ، أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق .

يقال : اعتقد فلان عقدة : اي اتخذها : يعني : اتخذها عقيدة فاعتقدها وآمن بها والمراد بالعقدة هنا : المعتقد — واعتقد مالا واخا : اى اقتناه(١)

نقول : الاقتناء بالنسبة الى المال ظاهر وواضح . اما بالنسبة الى الاخ فليس بواضح . اللهم الا ان يقال : انه ضمن الاعتقاد معنى الصداقة المخلصة فيكون الاقتناء للمال والصداقة المخلصة للاخ . كما ضمن الشاعر زججنا بكحلنا في قوله : وزججن الحواجب والعيونا (٢) .

واخيرا ذكر الراغب (٣) في المفردات ان العقد : هو الجمع بين اطراف الشيء ويستعمل ذلك في الاجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء (٤) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة مج ٤ ص ٨٦

(٢) قال ابن القيم : وهذا معروف من لغة العرب بل وغيرها من الامم كقول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى غدت همالة عيناها

وقال الاخر : ورايت زوجك قد غدا .. متقلدا سيفا ورمحا

انظر كتاب الطب النبوى ص ١٠٦ مراجعة وتصحيح عبد الغنى عبد الخالق دار الحكمة بيروت .

(٣) هو الحسين بن محمد بن الفضل الاصفهاني المعروف بالراغب . اديب من الحكماء العلماء سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالامام الغزالي — الاعلام للزركلي ج٢ ص ٢٧٩ .

(٤) مفردات الراغب ، ص ٣٤١ .

نقول : الاطراف هنا تحتمل معنيين :

الاول : نهايات الشيء • فعقدها جمعها بان تضم الطرف الاول الى الطرف الثانى مثلا •

الثانى : اجزاء الشيء مطلقا ، معنى عقدها : جمعها بعضها الى بعض والظاهر هو المعنى الثانى كما اتضح ذلك من تمثيله فى الحبل والبناء •

ويقول : ثم يستعار ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرهما يريد : انه اصبح مجازا مشهورا فى حكم الحقيقة •

فيقال : عاقدته وعقدته ، وتعاقدنا وعقدت يمينه • قال تعالى : " عقدت ايمانكم " وقرىء " عاقدت ايمانكم " وقال ايضا :/ " بما عقدتم الايمان " وقرىء " بما عقدتم الايمان " • ومنه قيل لفلان عقيدة •

وحاصل ماجاء فى معنى العقيدة : أن جميع المعاجم تتفق على أن معنى العقد والعقيدة : لزوم الشيء والتزامه وتوكيده •

هذا مايستخلص من مجموع كلامهم سواء كان ذلك فى امر مادى او فى امر معنوى • ويبدو انه فى المادية حقيقة وفى غيره مجاز كما نص على ذلك الراغب فى مفرداته وان كان غيره لم ينص على ذلك ، وكلامه حينئذ يحتمل ان العقد حقيقة فى الكل او حقيقة فى الماديات مجاز فى غيرها اصبحت حقيقة عرفية فى المعنويات •

٢ ـ معنى العقيدة اصطلاحا :

ان كلمة عقيدة لم ترد لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة • والامر عكس ذلك فى المسيحية فانها كلمة اساسية فيها •

نكلمة ـ د وجها ـ في المسيحية تشير الى اسرار الديانة المسيحية وعقيدة التثليث بصفة خاصة وذلك بما اشتملت عليه من حلول اللاهوت في الناسوت(١) وهذه الاسرار هي التي ذهبت بالكنيسة الى أن من واجب كل المسيحيين أن يسلموا بها تسليما مطلقا دون عرضها على عقولهم واعتبار من يخالف ذلك خارجا عن تعاليم الكنيسة مستحقا غضب الرب وقد يؤدى به ذلك الى صدور مرسوم يقضى بحرمانه من حقوقه .

والعقيدة بهذا المعنى لا وجود لها في الاسلام ولم يقدم الاسلام الا لفظا واحدا جامعا مانعا جمع بين الجانب النظرى الواجب الايمان به وبين الجانب العملى من عبادات عقلية وروحية وبدنية ومالية . ومن معاملات بكل ماتدل عليه من بيع وشراء. ومن نظم اقتصادية وعلاقات اجتماعية وانسانية .. وهذا اللفظ هو " الايمان " .

فالايمان : عقيدة في الضمير ينبثق عنها سلوك خاص ويقوم عليها منهاج الحياة ونظمها (٢) .

---

(١) عقيدة النصارى في الاله ، أن الله تعالى حل في عيسى عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام فصار الثلاثة الهة واطلقوا عليهم اسم الاقانيم الثلاثة اى ان الاله مكون من ثلاثة عناصر : الاب وهو الله ، الابن عيسى ، الروح القدس جبريل .
انظر محاضرات في النصرانية محمد ابوزهرة الطبعة الخامسة ٩٧هـ /٧٧م. دار الفكر العربى ص ١١٧ .

(٢) هويدى ، يحيى عن مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة . اصدار جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٩م.

وبالمقارنه مع ماهو عند الاوربيين نجد أن العقيدة في المسيحية تدل على الاسرار النظرية الخفية بل ان كلمة الايمان عندما تستعمل في اللغات الاوربية فانها لاتدل الا على هذه الجوانب التي تشير اليها كلمة " عقيدة " او " دوجما "

ومن أن هذه الكلمة غريبة على المسلمين ، ولم تستعمل الا في زمن متأخر عن عصر الصحابة او العصر الاسلامي الاول (١) ، فان استعمالها عند الحديث عن العقيدة الاسلامية لاغبار عليه ، خاصة واننا قد عرفنا اصل اشتقاق الكلمة من الناحية اللغوية اذ انها مشتقة من عقدت الحبل اذا شددته واحكمت فتله بحيث اذا تركته لا ينتقض •

وواضح مافي العقيدة من لزوم الشيء والتزامه وتوكيده بحيث يصعب التخلي عنه كذلك الايمان اذا تأصل في النفوس ، واختلط بكيان الانسان وانعقد عليه القلب فان الانسان لايستطيع الرجوع عنه ، لانه يصير حينئذ عقيدته التي لا يتزحزح عنها ، ولو اجتمع على اكراهه اهل الارض جميعا " الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " (٢) فيبقى مطمئن القلب عامرا بالايمان •

والذي تعرض لهذا عند علماء المسلمين انما هو " علم الكلام "

---

(١) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٢٢ ، باشراف محمد شفيق غربال الطبعة الثانية ، دار الشعب ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر •

(٢) النحل (١٠٦) •

والكلام كما عرفه صاحب المواقف : علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبه.(١)

والمراد بالعقائد مايقصد به نفس الاعتقاد دون العمل .

والمراد بالدينية : المنسوبة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم .

ونقل الفنارى في حاشيته على المواقف تعريفا للكلام ، قال : والكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية (٢) .

والتعريف الاول : ذهب اليه ايضا الشريف الجرجاني (٣) وهو نفس ماذهب اليه التهانوى (٤) .

---

(١) المواقف : الامام الجليل القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي ، بشرحه للمحقق السيد الشريف على بن محمد الجرجاني ـ الطبعة الاولى ج ١ ص ٣٤ .

(٢) [illegible] . نقلا عن حاشية المولوى حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى الموجودة على كتاب المواقف ، ج ١ ص ٣٤ .

(٣) التعريفات ، للفاضل العلامة على بن محمد الشريف الجرجاني ص ١٥٨ .

(٤) انظر موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ المولوى محمد بن اعلى التهانوى ج ١ ص ٢٢ ، مطبعة بيروت ـ خياط .

وماذهب اليه البعض امثال المقرى الفيومى ، وهو مانقلته الموسوعة العربية من ان العقيدة : هى ما انطوى عليه القلب والضمير (١) فهو تعريف بالاعم ، يريد ان يقول ان العقيدة تطلق اولا بمعنى واسع وهو مايعتقد مطلقا سواء اكان دينيا ام غير دينى فاذا اعتقدت ان فلانا صديق لك كان هذا عقيدة واذا اعتقدت ان الله عالم كان هذا عقيدة ثم خصصت العقيدة بالعقائد الدينية .

وجاء فى الموسوعة مانصه : (العقيدة ما انطوى عليه القلب والضمير ، تطلق على المعتقدات الدينية ، منها العقائد اوعلم العقائد ، تسمية متأخرة عن علم الكلام وعلم التوحيد ، كثر استعمالها منذ القرن السادس الهجرى بعد ظهور العقائد النسفية) (٢) .

والملاحظ على هذا ان تعريف العقيدة بالمعنى الاول تعريف بالاعم لان ما انطوى عليه القلب ، قد يكون غير عقيدة ، كالحب والكره ، والحقد والحسد . . . فكان الظاهر ان يقول : يطلق اولا على ما انطوى عليه القلب من الاعتقاد مطلقا .

وقد اوردت دائرة المعارف الاسلامية اقوالا متعددة ، افادت فى جملتها ان الاعتقاد يطلق بمعنى اعم سواء كان الاعتقاد متعلقا بعقيدة دينية او بأمر عادى .

---

(١) انظر المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى . تأليف العلامة احمد بن على المقرى الفيومى جـ٢ ص ٣٢ . الطبعة الثالثة ـ المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ١٣١٦هـ .

(٢) العقائد النسفية : متن صغير الحجم لعمر بن محمد النسفى وقد شرحه السعد التافتازانى وقد كتب على السعد اثنتى عشرة حاشية والعقائد النسفية فى غاية الاختصار والدقة .

فقد جاء فيها (١) : اعتقاد : التصديق بأن الشيء هو كذلك • وقد يفيد — اى لفظ الاعتقاد — الظن فقط • وقد يفيد الاقتناع التام وتستعمل هذه الكلمة كذلك بصفة خاصة للدلالة على قبول العقائد الدينية والاعتقاد بهذا المعنى يرادف التصديق اى الاعتقاد الجازم في صدق الشيء ، ويمتاز عن الايمان بان البعض يقولون : ان الايمان يشمل الاعمال والاقرار • ويذهب التفتازانى فى شرحه للعقائد النسفية الى ان الاحكام الشرعية بعضها متعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية ، والبعض الاخر متعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية • فالاعتقاد يستعمل غالبا بمعنى العقائد • ولم يكن من السهل تحديد المعنى الدقيق لهذا اللفظ ، وقد اورد قاموس المصطلحات العلمية استعمالين له : اولهما وهو الشائع المعروف ومعناه التصديق الجازم والثانى وهو قليل الاستعمال ويفيد الاقتناع أو اليقين • والاول حكم عقلى جازم ولكنه يقبل التشكيك ، والثانى حكم قطعى او راجح يقوم على العلم ويخرج الشك والظن ويسمى احيانا العلم اليقينى وهو يخرج الجهل المركب • ويقسم البعض الاعتقاد بمعناه الاول الى قسمين : احدهما : مايطابق الحقيقة والثانى مالايطابقها) ا • هـ •

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، تاليف مجموعة من العلماء الاجانب ، نقلها الى العربية مجموعة من العلماء العرب • المجلد الثانى ص ٣١٤ / ٣١٥ — طبعت سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣م •

ونحن نقول : - رغم ماقيل فى دائرة المعارف الاسلامية من اقوال مختلفة الا انها افادت فى جملتها ان الاعتقاد يطلق بمعنى اعم سواء اكان الاعتقاد متعلقا بعقيدة دينية أم بأمر عادى .

فالاول : كاعتقادنا بان الله عالم وقادر ومريد ...

والثانى : كاعتقادنا بان الطعام مشبع والنار محرقة .. وهكذا جميع الماديات .

وهذا الاعتقاد قد يكون ظنيا وقد يكون قطعيا وبعبارة اخرى دقيقة كما نص عليه : (اقناعيا او اقتناعيا) ثم خص الاعتقاد بما يتعلق بالمعتقدات الدينية وهنا يكون الاعتقاد مرادفا للتصديق الجازم بخلافه فيما سبق فان المراد به التصديق مطلقا جازما أو غير جازم وان كان هذا خلاف اصطلاح المناطقة (١) حيث تعرض بعضهم للفرق بينه وبين الايمان فقال : ان الايمان يتناول شعبا ثلاث اعتقاد وعمل واقرار . فالاعتقاد جزء من الايمان .

نعم ماذهب اليه جمهور الاشاعرة (٢) من ان الايمان هو تصديق فقط

---

(١) هم الذين يشتغلون بما يسمى " المنطق " وهو آلة عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق فيه / انظر النجاه لابن سينا ص ٣ . طبع محيى الدين الكردى . وهذا الفن انما دخل على الاسلام بعد اتساع الدولة الاسلامية ودخول كثير من الامم فى الاسلام . وخاصة اليونان . انظر المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم لعوض الله جاد حجازى - الطبعة الرابعة ٥ ص ٢٣ دار الطباعة المحمدية بالازهر . القاهرة .

(٢) الاشاعرة : اصحاب ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المنتسب الى ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم الذين يقتصرون على الصفات السبع الثبوتية اللازمة لذاته تعالى والتى لا يتصف بضدها . انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ١ / ١١٩

فيكون الاعتقاد الجازم هو الايمان قطعا •

ونقل عن الباجوري ان الاعتقاد قد يطلق على العقائد الدينية (١) •

ولعل في هذا العرض مايعين الباحث على فهم المراد بكلمة الاعتقاد •

وذهب كثير ممن كتب في العقيدة حديثا الى انها : التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل قطعي وذلك اذا قلت مثلا : فلان له عقيدة وعقيدة فلان عقيدة سليمة ••الخ •

وممن ذهب الى هذا الشهيد حسن البنا (٢) قال : العقائد هي الامور التي يجب ان يصدق بها قلبك وتطمئن اليها نفسك وتكون يقينا عندك لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك (٣) •

وقال السيد سابق : العقيدة هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك او ريبة (٤)

وعرفها محمد عبد الرحمن بيصار بانها الجانب النظرى الذى يجب على المرء من الايمان به اولا ايمانا يقينا مبنيا على التصديق الجازم مع الشعور بالرضى

---

(١) حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم جـ١ ص ٢٠ القاهرة ١٣٢١ هـ •

(٢) مؤسس جماعة الاخوان المسلمين في مصر • معلم ومربى وامام ظهر أثره في تلاميذه وفي كتبه ومؤلفاته قاوم الاستعمار البريطاني سنين طويلة جاهد في فلسطين ضد الاحتلال البريطاني واليهود • قتل برصاص الغدر في القاهرة سنة ١٩٤٩ م • رحمه الله •

(٣) مجموعة الرسائل للامام الشهيد حسن البنا ص ٤٦٥

(٤) العقائد الاسلامية للسيد سابق ص ٨ •

والقبول ، واقبال النفس عليه والاطمئنان به • (١)

وأخيرا فقد عرفها الشيخ تقي الدين النبهاني (٢) بانها التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل (٣) •

وهكذا نرى من مجموع ماقيل في تعريف العقيدة أنها تطلق ويراد بها مايعتقد • وهي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل • وهذا يعني انه لابد ان يكون دليلها موءديا الى التصديق بالشيء تصديقا جازما وهذا لايتاتى الا اذا كان الدليل نفسه مقطوعا به حتى يكون دليلا للجزم لان الدليل الظني لايمكن ان يحدث جزما ولذلك لايصلح أن يكون دليلا للعقيدة •

والعقيدة بهذا المفهوم انما تختلف عن الدين لان كلمة دين من الناحية اللغوية تشتق من فعل متعد بنفسه (دانه يدينه) وتارة من فعل متعد باللام ، (دان له) واخرى من فعل متعد بالباء (دان به) ولا اختلاف هذه الاشتقاقات تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة • وان كان هذا الاختلاف اختلافا ظاهريا الا ان وراءه تقاربا شديدا بل صلة قوية في الجوهر المقصود من معنى كلمة دين •

---

(١) العقيدة والاخلاق واثرها في حياة الفرد والمجتمع • محمد عبد الرحمن بيصار • ص ٩٧ • الطبعة الرابعة •

(٢) تقي الدين النبهاني : موءسس حزب التحرير الاسلامي عام ١٩٥٢ • بالقدس الشريف معلم كبير ومربي ناجح له عدة موءلفات منها " نظام الحكم في الاسلام " وكتاب "التفكير الاسلامي " ، " والشخصية الاسلامية " •• سجن عدة مرات ومات في بيروت سنة ١٩٧٨م •

(٣) انظر : كتاب الشخصية الاسلامية لتقي الدين النبهاني • القسم الاول ص ١٩ مطبوعات دار السياسة ـ بيروت •

فمعنى دانه يدينه : اى ملكه وحكمه وقهره وساسه ودبره وقضى في شأنه وجازاه وكافاه ..

فهو بهذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبر والحكم والقهر . (١)

ومن ذلك قوله تعالى " مالك يوم الدين " (٢) اى المحاسبة والجزاء

ومنه ايضا قوله صلى الله عليه وسلم " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " (٣) ومعنى دان نفسه : اى حكمها وضبطها .

ومعنى دان له : اى اطاعه وخضع له . ومنه قول عمرو بن كلثوم " (٤)

وايام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها ان ندينا

---

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٢ ص ٥٠٣
وانظر ايضا كتاب التمهيد تاليف الامام القاضي ابى بكر محمد بن الطيب ابن الباقلانى ه ص ٣٤٥ . المكتبة الشرقية . بيروت ١٩٥٧م .

(٢) الفاتحة (٣)

(٣) الحديث بتمامه " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله " .

رواه الامام احمد بن حنبل في المسند جـ٤ ص ١٢٤ ورواه الترمذى في باب القيامه جـ٩ ص ٨٢ وقال حديث حسن .

(٤) شاعر جاهلى من شعراء العرب المشهورين ومن اصحاب المعلقات. ومطلع معلقته :

الا هبى بصحنك فاصبحينا .. ولاتبقى خمور الاندرينا

يريد أنهم امتنعوا عن طاعة الملوك .

أما معنى دان بالشيء : أى اتخذه دينا له ومذهبا بمعنى اعتقده أو اعتاده اوتخلق به وعليه يكون الدين : هو المذهب والطريقة التى يسير عليها الانسان نظريا كالمعتقدات اوعمليا كالسلوك (١)

يقول العلامة دراز بعد ان ساق تعريف الدين عند أهل اللغة: (ولا يخفى أن الاستعمال الثالث تابع ايضا الى الاستعمالين قبله لان العادة أوالعقيدة التى يدان بها لها من السلطان على صاحبها مايجعله ينقاد لها ويلتزم اتباعها (٢)) .

أما من الناحية الاصطلاحية فقد اشتهر عند علماء المسلمين بانه : وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة ـ باختيارهم ـ الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل . (٣)

أو هو وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات .

أما عند النصارى فقد عرفوه بانه مجموعة النواميس الضابطة لنسبة الانسان الى الله اوبين صفات تلك النسبة (٤)

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٤٦

(٢) محمد عبد الله دراز . كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ص ٢٦ ، القاهرة مطبعة السعادة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

(٣) نفس المصدر ص ٢٩ . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون جـ ٣ ص ٧٥٩ .

(٤) انظر دائرة المعارف بطرس البستانى جـ ٨ ص ٢٣٧ ـ بيروت دار المعرفة .

وكانت (١) الفيلسوف الالمانى يرى بان الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر الهية سامية .

ويرى هيجل (٢) ان الدين هو اسمى ماتصبو اليه الروح الانسانية فى محاولة تحقيق كمالها وفى سبيل تحقيق المثل الاعلى للجمال .

والمتتبع لهذه التعريفات يظهر له ان مدلولها يتنوع بتنوع قائليها كل حسب مدرسته التى يسير عليها ومن هنا فهم يحاولون ربط معنى هذا اللفظ بمذاهبهم الخاصة فمنهم من نظر الى الطابع العام للدين كواجب ، ومنهم من نظر اليه كعاطفة او شعور ، واخرون اعتبروه وسيلة عرفانية ، ومنهم من عزاه الى الخرافة او الخيال او نسج الاساطير .. الخ .

---

(١) فيلسوف المانى ولد فى احدى مدن بروسيا ١٧٢٤ م من ابوين فقيرين محافظين حاضر فى جامعة كونفسبرج وعين سنة ١٧٧٠ م استاذا للمنطق والميتافيزيقا توفى عام ١٨٠٤ . راجع عبقرية العرب فى العلم والفلسفة عمر فروخ ص ١٠٨ الطبعة الثانية . المكتبة العلمية بيروت ١٩٥٢م .
وايضا قصة الفلسفة ويل ديورانت ترجمة احمد الشيبانى ص ٤٢٣ .
منشورات المكتبة الاهلية . بيروت .

(٢) فيلسوف المانى مثالى وهو صاحب نظرية المادية الجدلية ولد سنة ١٧٧٠ م درس فى جامعة هيدلبرج وبلرين توفى عام ١٨٣٠م .
من مذكرات مادة المذاهب الفكرية المعاصرة التى يدرسها الاستاذ محمد قطب فى جامعة الملك عبد العزيز ــ قسم الدراسات العليا ــ فرع العقيدة .

وخلاصة القول : ان كلمة (دين) عندما تقال فى اللغات الاوروبية فان القارئ او السامع يفهم انها صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية .

أما فى الاسلام فان الدين هو جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الالهية وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها .

واما التدين : فانه الايمان بذات الهية جديرة بالطاعة والعبادة (١) .

ونحن فى هذا التمهيد انما اردنا ان نجلى للقارئ صورة واضحة عن معنى العقيدة والدين والتدين ، اولا ، وثانيا : ان نعرفه طبيعة وجدوى البحث من حيث أنه بحث فى العقيدة الاسلامية الاولى ، فى تلك القوة الالهية الجديرة بالطاعة والعبادة هل هى معروفة بالفطرة أم لا ؟ وهل التدين هذا يحتاج الى من ينشئه عند الانسان ؟ فان كان لا فلماذا بعثت الرسل وانزلت الكتب ؟ وان كان نعم . فما المعنى المراد من قوله تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها " (٢) وما معنى قوله عليه السلام " كل مولود يولد على الفطرة .. " (٣) .

ولبيان هذا نورد مذاهب واراء العلماء فى الفطرة ونسوق ادلتهم وشواهدهم من الكتاب والسنة ، ثم نبين القول الفصل فى هذا الموضوع فى باب هذه الرسالة . والله ولى التوفيق .

---

(١) انظر كتاب — فى الدين المقارن — محمد كمال ابراهيم جعفر من ص(٢٠—٢٥) دار الكتب الجامعية ١٩٧٠م. وايضا : كتاب الدين لدراز ص ٥٠

(٢) الروم ٣٠

(٣) هذا الحديث سياتى فى مقام آخر بعد .

الباب الاول

((هل النـــاس مفطـــورون على التدين ؟))

تمهيـــــد

قلنا فيما مضى ان الفطرة تعني الابتداء اوالاختراع او الانشاء • وهـــــذا مذهب جمهور اهل اللغة • على أن للفطرة معنى اخر ذهب البعض الـــــى تقريره وهو الخلقـــة •

وما بين هذين المعنيين من صلة كبير غير خاف اذ الخلقة فيها معـــنى الابتداء والاختراع •فابتداء المولود وانشاؤه خلقه بعد ان لم يكن مخلوقـــا وهذه الفطرة التي خلق عليها المولود اختلف العلماء في المراد بها • هـــل هي الاسلام ؟ بعقائده ومعـــاملاتــه •• أم انها تعني المعرفـــــة والاستعداد لها • والتهيوء لقبولها ؟ او السلامة خلقة ليس معهـــا شيء من هذا اوذاك •

فمن العلماء من ذهب الى الاول • ومنهم من نفى ذلك • والبعض ذهـــب الى الثاني • واخرون ذهبوا الى الثالث وغيرهم لم يذهب الى هذا ولا ذاك •• بل ...ان لهم قول آخر •

والناظر الى مجموع اقوالهم • يجد انهم اختلفوا اختلافا واسعا فـــى هذا الموضوع وسبب اختلافهم يرجع الى ان القدرية (١) كانوا يحتجون بحديـــث ابي هريرة رضي الله عنه " كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه او ينصرانـــه

---

(١) القدرية : هم الذين قالوا ان الله تعالى غير خالق لاكساب الناس ولا لشيء من اعمال الحيوانات • وقد زعموا ان الناس هم الذين يقدرون على اكسابهـــم وانه ليس لله في اكسابهم ولا في اعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير / الفـــرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٥ •

أو يمجسانه . كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (١) على ان الكفر والمعصية من فعل العبد وليس لقضاء الله وقدره دخل فى ذلك بل الكفر والمعصية مما ابتدأ الناس احداثه . وقد نقل هذا القول عن الامام أحمد بن حنبل (٢) رضى الله عنه . (٣)

---

(١) الحديث متفق عليه . رواه البخارى ومسلم بروايات متعددة منها :
ـ " كل انسان تلده امه على الفطرة ... " مسلم باب القدر
ـ " كل مولود يولد على الفطرة ... " البخارى كتاب الجنائز
ـ " كل نسمة تولد على الفطرة .... " البخارى كتاب الجنائز
ـ ومنها رواية ابى هريرة المذكورة . البخارى . ومسلم .

(٢) احمد بن حنبل : هو شيخ اهل السنة ، ابوعبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى . الذهلى المروزى ، البغدادى احد الاعلام ببغداد وشيخ الاسلام والمسلمين فى عصره وناصر السنة وقامع البدعة . كان اماما فى الحديث وفنونه اماما فى الفقه ودقائقه . اماما فى الورع . مات فى ثانى عشر ربيع الاول من سنة ٢٤١ هـ . وقد جاوز سبعا وسبعين سنة بايام .
ـ طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٤٣ .

(٣) انظر كتاب شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تاليف الامام شمس الدين ابى عبد الله محمد بن الشيخ ابى بكر المعروف بابن القيم ص ٢٨٤ . الطبعة الاولى ، ١٣٢٣ هـ ـ مكتبة الرياض الحديثة .

وفى هذا البحث نعرض مذاهب هؤلاء الناس وادلتهم ، واحدا واحدا ثم نبين وجه الاستدلال والاعتراض الوارد عليه ونناقش الدليل مناقشة موضوعية ونبين صحته او فساده • ثم أخيرا نقرر المذهب ونعقد مقارنة وموازنة بينه وبين بقية المذاهب • وهكذا حتى نقف على المذهب الصحيح او نختار رأيا آخر فى هذا الموضوع ونستدل بادلة صحيحة •

والله الموفق •

(الفصـــل الاول)

الأقوال في الفطـــــــرة

اختلف العلماء في الفطرة على أقوال هي :

١ ـ قول السلف وجمهور كبير من اهل الاسلام .

٢ ـ أقوال طوائف من أهل الفقه والنظر وبعض العلماء .

وتفصيل ذلك فيما يلـي :

المذهب الاول : مذهب السلف رضي الله عنهم :

ذهب علماء السلف الصالح رضي الله عنهم الى ان الفطرة هي الاســـــــلام بمعنى ان كل انسان يولد يوم يولد مفطورا على الاسلام . اى دين الاســلام .

قال ابن عبد البر (١) : وهو المعروف عند عامة السلف .

ومن ذهب الى هذا من العلماء الطبري (٢) رحمه الله تعالى قال : قوله تعالى " فأقم وجهك للدين " اى سدد لطاعته " حنيفا " أي مستقيمـا " فطرة الله " اى صبغة الاسلام .

---

(١) يوسف بن عبد الله ابن عبد الله ابو عمر ، الاندلسي القرطبي ، المالكي محدث حافظ مؤرخ عارف بالرجال والانساب مقرئ فقيه ، نحوي ولد بقرطبة من تصانيفـــه الاستيعاب في معرفة الاصحاب وتجريد التمهيد . توفي في الاندلس سنة ٤٦٣هـ معجم المؤلفين جـ ١٣ ص ٣١٥ .

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري المؤرخ المفسر الامام عرض عليه القضـــاء ببغداد فامتنع له تصانيف منها : " اخبار الرسل والملوك " يعرف بتاريـــخ الطبري " " وجامع البيان في تفسير القران " " واختلاف الفقهاء " والقراءات وغير ذلك . وهو من ثقات المؤرخين : الاعلام جـ ٦ ص ٢٩٤ .

وروى ايضا عن الحرث قال : حدثنا حسن ، حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد " فطرة الله " قال : الاسلام .

وروى كذلك عن ابن وكيع . قال : حدثنا زيد بن ... عن حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة (١) قال : " فطرة الله التى فطر الناس عليها " الاسلام

وروى ايضا عن يونس قال : " اخبرنا ابن وهب قال : قال ل ابن زيد فى قوله تعالى " فطرة الله .. " الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك . (٢)

والى هذا ذهب ابن حجر (٣) رحمه الله . قال : واجمع اهل العلم بالتاويل على ان المراد بقوله تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها " الاسلام .

وذكر ابن حجر فى فتح البارى قوله " لاتبديل لخلق الله " اى لدين الله ،

---

(١) عكرمة بن عبد الله المدنى بربرى الاصل مولى عبد الله بن عباس ، مفسر من التابعين من اثاره " تفسير القران " معجم المؤلفين لعمر رضا ج ٦ ص ٢٩٠ .

(٢) انظر جامع البيان فى تفسير القران تاليف ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ج ٢١ ص ٢٧ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيرت . لبنان .

(٣) أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى ، ابن حجر من ائمة التاريخ والعلم رحل الى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ واصبح حافظ الاسلام فى عصره ، ولى القضاء على مصر عدة مرات . توفى بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ / دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ١٣١ .

وخلق الاولين : دين الاولين. والفطرة : الاسلام .(١)

وذهب الى هذا القول : ابن شهاب الزهرى .قال : يصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية(٢) ، من أجل أنه ولد على فطرة الاسلام يدعى ابواه الاسلام او ابوه خاصة وان كانت امه على غير الاسلام اذا استهل صارخا صلى عليه ، ولا يصلى على من لا يستهل من اجل انه سقط ، فان ابا هريرة رضى الله عنه كان يحدث : قال النبى صلى الله عليه وسلم " مامن مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " . ثم يقول ابوهريرة " فطرة الله التى فطر الناس عليها " .

قال ابن شهاب(٣) : وهو المعروف عند عامة السلف من اهل التاويل(٤) واشهر من حمل لواء مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية(٥) رحمه الله

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ابن حجر ج٣ ص ٤٩١ مطبعة الحلبى ١٣٧٨

(٢) لزينة / لسان العرب ج ١٩ ص ٣٨٠ فصل الغين حرف الباء.

(٣) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهيرى من قريش اول من دون الحديث واحد اكابر الحفاظ والفقهاء تابعى من اهل المدينة نزل الشام واستقر بها مات بشغب اول حد فلسطين مما يلى الحجاز توفى سنة ١٢٤ هـ / الاعلام ج ٧ ص ٣١٧

(٤) قول ابن شهاب رواه البخارى عن ابى اليمان عن شعيب عنه / انظر صحيح البخارى كتاب الجنائز باب ٩٢.

(٥) احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى الدمشقى ابو العباس الامام شيخ الاسلام نشا فى دمشق ورحل الى مصر وسجن فيها مدة علم خلالها السجناء اصول الدين وصنف كثيرا من كتبه فى السجن ثم منع من ذلك كان كثير البحث فى فنون الحكمة داعية اصلاح فى الدين اية فى التفسير واصوله مات فى السجن فى قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٠٩ .

وسار على طريقه تلميذه ابن القيم أيضا .

سئل شيخ الاسلام عن قوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطـــرة " مامعناه : اراد فطرة الخلق ام فطرة الاسلام ؟ قال : (فالصواب انهـــا فطرة الله التي فطر الناس عليها وهى فطرة الاسلام . وهى الفطرة التى فطرهـــم عليها يوم قال : " ألست بربكم ؟ قالوا بلى " (١) وهى السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة (٢) .

---

(١) الاعراف ١٧٢.

(٢) مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ٤ ص ٢٤٥ . الطبعة الاولى مطبعة الرياض ١٣٨١ هـ .

الاستدلال على المذهب

استدل اصحاب هذا المذهب بادلة من القرآن والسنة •

أولا : أما القرآن فقد احتجوا بقوله تعالى في سورة الروم " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون " (١)

وجه الاستدلال بهذه الاية :

طلب المولى تعالى في هذه الاية انتسدد الوجوه لطاعته وان يتبع الاسلام الذى هو فطرة الله تعالى في جميع الناس ، وهو دين الله القيم الذى رضيه لهم •

قالوا : ومما يشهد لهذا الوجه الروايات السابقة الذكر عن ابن جرير حيث روى هذا عن ابن زيد وعكرمة ومجاهد •

وايضا ماقاله ابن شهاب وابن حجر وجزم به •

وايضا فقد احتج ابوهريرة راوي الحديث بهذه الاية فادرجها فيه عند ما روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " مامن مولود يولد الا على الفطرة••• " الحديث • وهذا الادراج من الراوى يشعر انه اراد " بفطرة الله " الاسلام •

قالوا : ويقوى هذا ماورد في تفسير قوله تعالى في اخر الاية " لاتبديل لخلق الله •"

---

(١) سورة الروم ٣٠ •

فقد ذهب مجاهد (١) الى أن معنى خلق الله : دين الله . قال ابن ابى نجيح عن مجاهد : " لاتبديل لخلق الله " أى لدين الله . ثم ذكر ان مجاهدا ارسل الى عكرمة يسأله عن قوله " لاتبديل لخلق الله " قال هو الخصاء . فقال مجاهد : أخطأ لاتبديل لخلق الله انما هو الدين .

وفى رواية عن عكرمة انه قال : " لاتبديل لخلق الله " اى لدين الله .

وهو قول سعيد بن جبير (٢) ، والضحاك ، وابراهيم النخعى (٣) وابن زيد (٤)

---

(١) مجاهد بن جبير ابوالحجاج المخزومى الامام المقرىء المفسر الحافظ مولى السائب المخزومى . قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات اقف عند كل اية اساله فيم انزلت . وكيف كانت ؟ مات سنة ١٠٣ هـ : تذكرة الحفاظ ، للذهبى جـ ١ ص ٩٢

(٢) سعيد ابن جبير الاسدى بالولاء الكوفى ابوعبد الله تابعى كان اعلمهم على الاطلاق . وهو حبشى الاصل . من موالى بنى والبة بن الحارث من بنى اسد اخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر . ثم كان ابن عباس اذا اتاه اهل الكوفة يستفتونه قال : أتسالوننى وفيكم ابن ام دهماء قتله الحجاج بواسطة مال سنة ٩٥ هـ / الاعلام جـ ٣ ص ١٤٥ .

(٣) النخعى : ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود . ابوعمران النخعى من مزحج من اكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث من اهل الكوفة . مات مختفيا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدى : فقيه العراق كان اماما مجتهدا له مذهب ولما بلغ الشعبى موته قال : والله ماترك بعده مثله مات سنة ٩٦هـ الاعلام جـ ١ ص ٧٦ .

(٤) انظر تفسير الطبرى جـ ٢١ ص ٢٦ ، ٢٧ .

وقد ايد هذا ، الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث اورد رواية ابن ابى حاتم من طريق على بن ابى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى " ان هذا الا خلق الاولين " (١) يقول : دين الاولين .

يقول ابن حجر : وهذا يؤيد الاول (٢)

وقد حاول ابن القيم (٣) التوفيق بين هذا القول وبين ماروى عن عكرمة من انه الخصاء قال : ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى لاعنا ابليس "لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا " (٤)

---

(١) سورة الشعراء ١٣٧

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ١٣٠

(٣) محمد بن ابى بكر بن ايوب الزرعى الدمشقى . الشهير بابن القيم ، من اركان الاصلاح الاسلامى واحد كبار العلماء تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شىء من اقواله وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه فى قلعة دمشق واهين وعذب بسببه . مات سنة ٧٥١ هـ .
- الاعلام جـ ٦ ص ٢٨٠ .

(٤) انظر شفاء العليل ابن القيم ص ٢٨٧ .

فتغيير عباده ماخلق من الدين تغيير لخلقه والخصاء وقطع الاذان تغيير لخلقه ايضا ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بالاخر فاولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة فذلك يغير ماخلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ماخلق عليه بدنه •

ثانيا : وأما السنة فمما احتجوا به :

١ — الحديث القدسى (١) الذى رواه مسلم عن عياض بن حماد عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال : " خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى مالم انزل به سلطانا " (٢)

وجه الاستدلال بهذا الحديث :

ان الحديث صريح فى ان الله خلق العباد على الحنيفية وان الشياطين اجتالتهم • والحديث فى صراحته هذه يفيد ان المولودين على الفطرة انما ولدوا حنفاء والحنيف فى كل كلام العرب : المستقيم المخلص • ولا استقامة اكثر من الاسلام •

نعم هذا هو وجه الاستدلال بهذا الحديث ولكن الظهر مماقالوا ان فى الحديث مايدل صراحة على انه تعالى خلقهم حنفاء مسلمين • فقد روى عن عياض بن حمار عن طريق محمد بن اسحق قوله صلى الله عليه وسلم " حنفاء مسلمين " ففى الحديث مايقطع بان المراد انه تعالى خلقهم حنفاء مسلمين •

---

(١) نسبة الى القدس وهو ما اضافه الرسول صلى الله عليه وسلم واسنده الى ربه عز وجل من غير القران • انظر المنهل اللطيف فى اصول الحديث الشريف تاليف محمد بن علوى المالكى الحسنى ص ٥٣ — الطبعة الثالثة — دار الفكر بيروت •

(٢) الحديث رواه مسلم فى باب صفة الجنة ٦٢ ورواه احمد فى مسنده جـ٤ ص ١٦٢ والحديث طويل جدا واوله " الا انى ربى امرنى ان اعلمكم ماجهلتم مما علمنى يومى هذا كل مال نحلته عبدا حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم •• الخ " •

٢ ـ حديث محمد بن اسحق (١) عن ثور بن يزيد عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عابد الازدى عن عياض بن حمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما : " الا أحدثكم بما حدثنى الله فى الكتاب ان الله خلق ادم وبنيه حنفاء مسلمين واعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا ما اعطاهم الله حراما وحلالا .. " (٢)

وايضا روى ابوبكر بن مهاجر عن ثور بن يزيد باسناده مثله .
وهذا الحديث روى من عدة طرق باسانيد مختلفة ذكر فى بعضها قوله صلى الله عليه وسلم " حنفاء مسلمين " ، وفى البعض الاخر قوله " حنفاء كلهم "

الا أن ابن عبد البر تتبع معظم الاحاديث الواردة فى ذلك ، وايد رواية عياض بن حماد عن طريق محمد بن اسحق " حنفاء مسلمين " وذلك لحفظه واتقانه وضبطه . وايضا ، فقد ذكر كلمة " مسلمين " فى روايته عن ثور بن يزيد ، باسناده قول هذا على حفظه واتقانه وضبطه .

ومهما يكن فان الحديث يفيد ان الانسان يولد مفطورا على الاسلام لان الحنيف هو المختلى المستقيم ولا استقامة اكثر من الاسلام .

---

(١) محمد بن اسحق بن يسار ـ احد الائمة الاعلام من موالى قيس وثقة غير واحد وهو صالح الحديث الا ما حشاه من الاشياء المنكرة . والاشياء المكذوبة فى السيرة . وقال احمد : هو كثير التدليس جدا . مات سنة ١٥١ هـ .
ـ الميزان للذهبى جـ ٣ ص ٤٦٨ .

(٢) هذا الحديث جزء من الحديث السابق . الا انه روى بطريقة اخرى عن عياض وفيه قوله عليه السلام " حنفاء مسلمين " . وفى الاول " حنفاء كلهم " .

قالوا : ويؤيد هذا ماروى عن بعض الصحابة والتابعين وكبراء المفسرين من أنهم وصفوا الحنيفية بالاسلام .

فقد روى عن الحسن (١) : الحنيفية هى حج البيت . قالوا : وهذا يدل على انه اراد الاسلام .

وروى ايضا عن الضحاك (٢) والسدى (٣) قالوا : حنفاء اى حجاجا .

وعن مجاهد : حنفاء : اى متبعين .

قالوا : وهذا كله يدل على ان الحنيفية هى الاسلام . يؤيد هذا قوله تعالى " ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين " (٤) .

وقوله أيضا : " قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا .. " (٥)

وقوله : " ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا .. " (٦) .

---

(١) الحسن بن يسار البصرى ابو سعيد تابعى امام اهل البصرة وحبر الامة فى زمنه وهو احد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك لاتاخذه فى الحق لومة لائم . الاعلام جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) الضحاك بن مزاحم البلخى الخراسانى . ابو القاسم . مفسر كان يؤدب الاطفال . ويقال كان فى مدرسته ثلاثة الاف صبى . قال الذهبى كان يطوف عليهم على حمار . له كتاب فى التفسير وهو من اشراف المعلمين وفقهائهم / - الاعلام جـ ٣ ص ٣١٠ .

(٣) اسماعيل بن عبد الرحمن السدى . تابعى حجازى الاصل . سكن الكوفة . كان اماما عارفا بالوقائع وايام الناس . الاعلام جـ ١ ص ٣١٣ .

(٤) و (٥) سورة ال عمران اية ٦٧ واية ٩٥ .

(٦) النحل اية ١٢٣ .

كما يؤيد هذا الشعر من كلام العرب . قال الشاعر :

اخليفة الرحمن انا معشـــر ... حنفاء نسجد بكرة وأصيلا .
عرب نرى لله في اموالنـــا ... حق الزكاة منزلا تنزيـلا

فهذا وصف من الشاعر للحنفية بانها الاسلام وهو امر واضح لاخفاء فيه (١)

٣ ـ ماروواه الترمذي عن انس (٢) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم " كل مولود يولد من والد كافر او مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكـــن الشياطين اتتهم فاجتالتهم عند ينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا " (٣)

قالوا : وهذا الحديث واضح كل الوضوح في انهم فطروا على الاسلام ثم حصـــل لهم غيره بعارض عرض لهم . وهو قول ابن تيمية . (٤)

---

(١) انظر شفاء العليل .. ص ٢٨٦

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن النجار الانصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . خدمه عشر سنوات . احد المكثرين من الرواية عنه . نزل البصرة ، ومات فيها وهو اخر من مات من الصحابة فيها وكان ذلك سنة ٩١ هـ . رضي اللـــه عنه وارضاه : الاصابة في تمييز الصحابة جـ ١ ص ٧١

(٣) انظر سنن الترمذي كتاب القيامة ١٦ وكتاب القدرة .

الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة السلمي البغوي الترمذي من ائمة علماء الحديث وحفاظه من اهل ترمذ علم نهر جيحون . تتلمذ للبخاري وشاركـــه وشاركه في بعض شيوخه . ارتحل الى خراسان والعراق والحجاز وعمي فـــي اخر ايامه وكان يضرب به المثل في الحفظ مات سنة ٢٧٩ هـ
الاعلام جـ ٧ ص ٢١٣

(٤) انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية . رسالة في الفطرة جـ ٢ ص ٣٣٤ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٤ — قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف " خمس من الفطرة ..... " (١)
وفى رواية مسلم " عشر من الفطرة ... " (٢)

فعن عائشة (٣) رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" عشر من الفطرة : قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظافر وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء "

قال زكريا قال مصعب : ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة (٤)

<u>وجه الاستدلال بهذا الحديث :</u>

ان المراد بالفطرة فى الحديث الاسلام لان هذه الامور المذكورة مما جاء به الاسلام فكأن الحديث عشر من الاسلام وهى قص الشارب واعفاء اللحية .. الى آخر ماذكر فى الحديث.

---

(١) متفق عليه . وقد وردت هذه الخمسة فى الحديث الذى يليه .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الطهارة ٥٦ ورواه ابوداود والترمذى وابن ماجه والنسائى واحمد بن حنبل .
(٣) عائشة بنت ابى بكر ام المؤمنين عرفت بعلمها وذكائها وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " قد انزل الله براءتها من السماء حين قذفها اصحاب الافك . ماتت سنة ٥٨ هـ .
الاصابة جـ ٤ ص ٣٥٩
(٤) انظر صحيح مسلم . كتاب الطهارة ٥٦ . وانظر مسند الامام احمد وايضا الدارمى والترمذى فى باب الادب .

والحق أن هذا الحديث يشهد بان الفطرة هى الاسلام لانه حيث قال : ان من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك ... الخ وهذه من احكام الاسلام . فاذا جعل تلك الامور من الفطرة كان المراد بالفطرة فى هذا الحديث قطعا انما هو الاسلام .

يؤيد هذا ماذكره الامام النووى (١) قال : وقيل : هى الدين يعنى الاسلام " (٢)

٥ — واشهر ما استدل به القوم من الاحاديث النبوية الحديث الصحيح الذى رواه أبوهريرة رضى الله عنه وهو قوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " ثم يقول ابوهريرة : اقرءوا ان شئتم "فطرة الله التى فطر الناس عليها "

ويروى ان الصحابة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيب قوله هذا الحديث قالوا : " يارسول الله : أفرأيت من يموت صغيرا ؟ قال : الله اعلم بما كانوا عاملين " .

---

(١) يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الخزامى الحورانى النووى الشافعى . علامة بالفقه والحديث ولد فى نوا من قرى حوران بسورية تعلم فى دمشق واقام بها زمنا طويلا . ومن كتبه : تهذيب الاسماء واللغات ومنهاج الطالبين والدقائق وكثير غيرها . الاعلام ج٩/ص ١٨٤ .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى / للنووى ج ٣ ص ١٤٧ — المطبعة المصرية .

وقد وردت روايات اخرى للحديث ذكر فيها كلمة (الملة) بدلا من الفطرة كما في صحيح مسلم عن ابى بكر بن شيبة وابى كريب " مامن مولود يولد الا وهو على الملة" (١) . وفي رواية "الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه" .

وجه الاستدلال بهذا الحديث :

قالوا : ان الفطرة في الحديث هي الاسلام . وان ما ورد من الاحاديث بروايات اخرى قد اوضح هذا حيث ان المعنى المراد بالملة هو ملة الاسلام . والاصرح من هذا أن هناك احاديث تذكر انه فطر على فطرة الاسلام كما جاء في قوله عليه السلام في رواية انس " يولد على فطرة الاسلام " فالفطرة في الحديث هي الاسلام .

وقالوا : يشهد لهذا قول ابن شهاب : " يصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية من اجل انه ولد على فطرة الاسلام .. "

ويشهد له ايضا ان ابن شهاب سئل عن رجل عليه رقبة مؤمنة . ايجزىء ان يعتقه وهو رضيع ؟ قال نعم . لانه ولد على الفطرة — يعني الاسلام — .

قالوا : ويؤيد هذا ايضا ان ابا هريرة (٢) راوي الحديث استشهد بالاية

---

(١) انظر صحيح مسلم كتاب القدر ٢٥ وصحيح البخاري كتاب الجنائز والترمذي في باب القدر والدارمي في السنن وذكره مالك في الموطأ كتاب الجنائز وروى في مسند الامام احمد .

(٢) اختلف في اسمه .قيل كان اسمه عبد شمس بن صخر قبل الاسلام فسماه الرسول عبد الرحمن وكنيته ابوهريرة لانه كان يحمل هرة في كمه وهو من الازد الدوسي اليمني اسلم في السنة السابعة للهجرة وقد اجمع اهل الحديث على انه اكثر الصحابة حفظا للحديث . رضي الله عنه مات سنة ٥٧ هـ / الاصابة ج٧ص٢٠٢ .

الكريمة " فطرة الله التى فطر الناس عليها .. " وهذا الاستشهاد من الراوى يدل على أن المراد بالفطرة الاسلام .

وأيضا : ان القوم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن مصير اطفال المشركين اذا ماتوا . وهذا يدل على ان المراد بالفطرة ما قلناه وهو الاسلام .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله نقلا عن شيخه ابن تيمية : قال شيخنا (والدلائل على ذلك كثيرة . ولو لم يكن المراد بالفطرة الاسلام لما سألوا عقيب ذلك ارايت من يموت من أطفال المشركين ؟ .. وقوله : " فابواه يهودانه أو ينصرانه .. " بين فيه انهم يغيرون الفطرة التى فطر عليها . وايضا فانه شبه ذلك بالبهيمة التى تولد مجتمعة الخلق . لا نقص فيها ثم تجدع بعد ذلك فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التى ولد العبد عليها .

وأيضا ، فان الحديث مطابق للقرآن . قال تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها " وهذا يعم جميع الناس . فعلم ان الله فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة .

وأيضا فانه أضاف الفطرة اليه اضافة مدح لا اضافة ذم . فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله ، وبيته وناقته ... " (١)

---

(١) شفاء العليل ص ٢٨٦ .

رأى الامام احمد بن حنبـــل

وهــل هو موافق للسلــف فى هــذا الــرأى؟

لقد نقل عن الامام احمد رضى الله عنه اكثر من رواية فى معنى الفطرة والمشهـور عنه روايتاه . ذكر ذلك عنه القاضى ابويعلى رحمه الله . (١)

الرواية الاولى : الفطرة هى الإقرار بمعرفته تعالى .

الرواية الثانية : الفطرة هى ابتداء خلق المولود فى بطن أمه .

هذا وقد نفى القاضى ان تكون الفطرة هى الاسلام وذلك لوجهين (٢) :

أحدهما : أن معنى الفطرة هى ابتداء الخلقة ومنه قوله تعالى " فاطر السمـوات والارض"(٣) ، اى مبتدئها . واذا كانت الفطرة هى الابتداء ، وجـب أن تكون تلك هى التى وقعت لاول الخليقة وجرت فى فطرة المعقـول وهو استخراجهم ذرية لان تلك حالة ابتدائهم . قال تعالى " واذ اخـذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكـم قالوا بلى " (٤)

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد ابويعلى عالم عصره فى الاصول والفروع وانواع الفنون من اهل بغداد . ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين . ولـى القضاء ولكنه امتنع ولما التزم الخليفة بشروطه وافق على القضاء . توفى فـى بغداد سنة ٤٥٨ هـ / تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥٦.

(٢) نقل ذلك ابن القيم رحمه الله فى كتابه شفاء العليل ص ٢٨٣.

(٣) سورة فاطر ـ ١ . الانعام ١٤ ـ يوسف ١٠١ ، ابراهيم ١٠ ، الزمر ٦ ، الشورى ١١ .

(٤) سورة الاعراف اية ١٧٢.

الثاني : ان الفطرة لو كانت هي الاسلام ، لوجب اذا ولد بين ابوين كافرين ان لا يرثهما ولا يرثانه مادام طفلا لانه مسلم واختلاف الدين يمنع الارث ، ولوجب ان لا يصح استرقاقه ولا يحكم باسلامه باسلام ابيه لانه مسلم .

هذا وقد نقل عن القاضي ان الامام احمد اومأ الى ان المراد بالفطرة ابتداء الخلق في الرحم . وذلك في رواية علي بن سعيد . وقد ساله عن قوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة " .. الحديث فقال احمد : على الشقاوة والسعادة .

وايضا نقل عن محمد بن يحيى الكحال (١) انه ساله عنها فقال : هي الفطرة التي فطر الناس عليها : شقي أو سعيد .

ومثل هذا ايضا نقل جهيل عنه .

قال القاضي : وهذا كله يدل من كلامه على ان المراد بالفطرة ههنا ابتداء خلقه في بطن أمه .

اعتراض على القاضي :

هذا وقد اعترض على ما نقله القاضي ابويعلى وأشهر من حمل لواء المعارضة من السلف ابن تيمية وايده في ذلك تلميذه ابن القيم .

---

(١) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس . الحافظ ابوعبد الله النيسابوري الامام كان احمد كثيرا مايمدحه وكان يقول : ماقدم علينا رجل اعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيى . كان امير المؤمنين في الحديث توفي سنة ٢٥٨ هـ :
ـ تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥١٦ .

قال ابن القيم : قال شيخنا ابو العباس ابن تيمية : ان احمد لم يذكر العهد الاول وانما قال : الفطرة الاولى التى فطر الناس عليها وهى الدين . وقال فى غير موضع : ان الكافر اذا مات ابواه او احدهما حكم باسلامه . واستدل بهذا الحديث فدل على انه فسر الحديث بانه يولد على فطرة الاسلام كما جاء ذلك مصرحا به فى الحديث .

ولو لم تكن الفطرة عنده الاسلام لما صح استدلاله بالحديث .

وقوله فى موضع آخر : يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا ينافى ذلك . فان الله سبحانه قدر السعادة والشقاوة وكتبهما وقدر انهما تكون بالاسباب التى تحصل بها كفعل الابوين فتهويد الابوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو مما قدر الله انه يفعل بالمولود والمولود ولد على الفطرة سليما وولد على ان هذه الفطرة السليمة يغيرها الابوان كما قدر الله سبحانه ذلك وكتبه كما مثل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " . فبين ان البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة سليما ثم يفسده ابواه . وذلك ايضا بقضاء الله وقدره . وانما قال احمد وغيره من الائمة : يولد على ما فطر عليه من شقاوة او سعادة لان القدرية يحتجون بهذا الحديث على ان الكفر والمعاصى ليست بقضاء الله وقدره بل مما ابتدأ الناس احداثه . (١)

---

(١) انظر شفاء العليل ص ٢٨٥ .

والواقع ان للامام احمد بن حنبل فى هذه المسألة اكثر من قول ، وقد نقل عنه فى ذلك اكثر من رواية فمن اصحابه من روى عنه فى المسالة رواية واحدة كعلى بن سعيد (١) ومنهم من روى انه جعل المسالة على روايتين كالقاضى "ابويعلى" وفريق ثالث حكى عنه فيها ثلاث روايات وجعل الرواية الثالثة "الوقف" .. ومنهم من حكى أنه أراد بالفطرة : الاسلام .

روى الحافظ بن حجر ان محمداً بن نصر المروزى (٢) حكى عن احمد ان اخر توليه : إن المراد بالفطرة الاسلام (٣) .

وجاء فى القرطبى عن محمد بن نصر المروزى ان الامام احمد تراجع عن اقواله السابقة واثبت القول بان الفطرة : هى الاسلام (٤) .

---

(١) على بن سعيد بن مسروق الكندى ابوالحسن الكوفى قال ابوحاتم : صدوق ، وقال النسائى : ثقة .وفى موضع اخر : لابأس به .وذكره ابن حبان فى الثقات . مات سنة ٢٤٩ هـ / تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣٢٦.

(٢) ابوعبد الله امام فى الفقه والحديث ومن اعلم الناس باختلاف الصحابة ولد ببغداد ونشأ بنيسابور استوطن سمرقند وتوفى بها له كتب كثيرة منها : القسامة فى الفقه .قال ابوبكر الصيرفى : لو لم يكن له غيره لكان افقه الناس : الاعلام جـ ٧ ص ٢٤٦ .

(٣) انظر فتح البارى جـ ٣ ص ٤٩١

(٤) تفسير القرطبى . الجامع لاحكام القران لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى جـ ١٣ ص ٢٥ .دار احياء الكتب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

وايضا نقل ابن تيمية عن السلف انهم يرون ان الانسان مفطور على الاسلام ومنهم الامام احمد .

ومن هنا يتبين لنا ان الامام احمد رضى الله عنه موافق لما قاله السلف وأن هذا هو رايه فى المسالة لانه كان من الصف الاول من السلف .

لذا فاننا نعترض ونشك فيما روى عن الامام احمد من روايات ونتمسك منها برواية واحدة وهى : ان المراد بالفطرة الدين والتدين يوء يدنا فى ذلك مارواه الميمونى من أن احمد قال فى معنى الفطرة : انها الفطرة الاولى التى فطر الناس عليها . فقال له الميمونى مستفسرا : الفطرة الدين ؟ قال : نعم .

ويشهد لهذا ايضا قول الامام ابن تيمية : ان احمد لم يذكر العهد الاول ، المعبر عنه فى الرواية الاولى التى نقلها القاضى ابويعلى وهى الاقرار بمعرفته تعالى وكذلك فان الرواية الثانية لم تصح عنه ايضا ، بل الذى صح عنه انه قال : ان المراد بالفطرة : الفطرة الاولى التى فطر الناس عليها ، وهى : الدين .

وترجيحنا للرواية الثانية عنه يدل على انه موافق للسلف قطعا . ويوء يد ذلك انه قال فى غير موضع : ان الكافر اذا مات ابواه اواحدهما حكم باسلامه واستدل بهذا الحديث " كل مولود يولد على الفطرة ... " فدل على ان تفسيره للحديث بانه يولد على فطرة الاسلام .

يريد ان ابن الكافر الصغير بحكم ابويه كافر تبعا لهما فاذا ماتا او مات احدهما حكم باسلامه لان هذا هو الفطرة . وقد ذهب ماقد يكون سببا فى تكفيره من الابوين . فهذا يشهد بان المراد بالفطرة عند الامام احمد بن حنبل الاسلام .

هذا وقد تعرض ابن تيمية رحمه الله للاجابة على الامام احمد بن حنبل بوجه آخر وقد سلم فى هذا الوجه بصحة الروايات عن الامام احمد ثم قرر ان الرواية الثانية لاتتناقض مع الرواية الاولى لان المراد بها ان الله سبحانه وتعالى قدر واراد ، أن الطفل الذى ولد على الفطرة الاسلامية سيهوده ابواه اوينصرانه وحينئذ فالرواية الثانية حكاية عما قدره الله وعلمه . فلا تنافى ان فطرته هى الفطرة الاسلامية .

والواقع ان هذا الجواب من ابن تيمية غير سليم لان الكلام فيما فطر عليه الانسان . فالرواية الاولى فى الفطرة وكذا الثانية .

فماقاله ابن تيمية من حمل الرواية الثانية على ماقدره الله من أن ابويه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه خروج عن المقام وخلط بين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وبين ماقدره الله عليهم . فالمتعين فى الجواب هو الاول . اذا فالذى عليه الامام احمد رضى الله عنه ان الفطرة هى الدين والدين يريد بذلك الاسلام كما هو عند بقية السلف . وما روى عنه من روايات تخالف هذا فهى اما ان تكون منسوبة اليه ولم يقلها او انه قالها واخيرا رجع عنها . وقرر ماقاله السلف — رضى الله عنهم — فهو موافق لماقالوا قطعا . والله أعلم .

اعتراضات وردود

لم يسلم مذهب السلف من الاعتراض ، وسنعرض فيما يلى اراء المعترضين وادلتهم ثم نناقشها ونرد عليها .

* **اعتراض والرد عليه :**

أولا : اعتراض القاضى « أبويعلى » :

اعترض القاضى « ابويعلى » على مذهب السلف ، ونفى ان تكون الفطرة هى الاسلام وذلك لوجهين :

أحدهما : ان معنى الفطرة : ابتداء الخلقة ، ومنه قوله تعالى " فاطر السموات والارض " (١) اى مبتدئها ، واذا كانت الفطرة هى الابتداء وجب ان تكون تلك هى التى وقعت لاول الخليقة وجرت فى فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لان تلك حالة ابتدائهم .

الوجه الثانى : لوكانت الفطرة هى الاسلام ، لوجب اذا ولد بين ابوين كافرين أن لا يرثهما ولا يرثانه ما دام طفلا لانه مسلم ، واختلاف الدين يمنع الارث ولوجب ان لا يصح استرقاقه ولا يحكم باسلامه باسلام ابيه لانه مسلم .

قال القاضى : وهذا تاويل ابن قتيبة ، وذكره ابن بطة فى الابانة . (٢)

---

(١) سورة فاطر (١)

(٢) انظر شفاء العليل ص ٢٨٣ .

* **الرد على هذا الاعتراض :**

نقول هذا اعتراض ضعيف من القاضي ، ولا يقوى أمام ماقاله رجال السلف وما استدلوا به وذلك لما يلي :

١ ـ استدلال القاضي بقوله تعالى " فاطر السموات والارض " على ان الفطرة هي ابتداء الخلقة استدلال باللغة يفيدنا في معرفة معنى الفطرة لغة لا شرعا . والمعروف ان ماكان الاستدلال به من الشرع اولى مماكان باللغة . يقول الامام الشوكاني : (وهذا مصير من القائلين به الى معنى الفطرة لغة ، واهمال معناها شرعا ، والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي ، باتفاق أهل الشرع ، ولا ينافي ذلك ورود الفطرة في الكتاب أو السنة في بعض المواضع مرادا بها المعنى اللغوي كقوله تعالى " الحمد لله فاطر السموات والارض "(١) اي خالقهما ومبتدئهما . وكقوله تعالى " ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون "(٢) ، اذ لا نزاع في أن المعنى اللغوي هو هذا ، ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة "(٣) .

٢ ـ استدلال القاضي بمنع الارث وعدم جواز الاسترقاق .. الخ فيما لو كانت الفطرة هي الاسلام ، رد عليه السلف بكلام يبطله . قالوا : كون الطفل يتبع اباه في الاحكام الدنيوية امر ما زال مشروعا ، وما زال الاطفال تبعا لابائهم في الامور الدنيوية . والحديث لم يقصد فيه بيان هذه الاحكام

---

(١) فاطر (١)

(٢) يس (٢٢) .

(٣) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني جـ ٤ ص ٢٢٤ . مطبعة الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .

انما قصد بيان ما ولد عليه الاطفال من الفطرة .

ويظهر ان الامر قد اشتبه على القاضى ، فخلط احكام الكفر الدنيوية باحكام الكفر فى الاخرة . فان أولاد الكفار لما كانت تجرى عليهم احكام الكفر فى الدنيا مثل ثبوت النسب وثبوت الولاية عليهم لابائهم وحضانتهم لهم وتمكنهم من تعليمهم واسترقاقهم وغير ذلك صار يظن من يظن انهم كفار فى نفس الامر كالذى تكلم بالكفر وعمل به . وكونهم ولدوا على الفطرة لا ينافى أن يكونوا تبعا لابائهم فى احكام الدنيا . وقد يكون فى دار الكفر (١) من هو مؤمن يكتم ايمانه ولا يعلم المسلمون حاله فلا يغسل ، ولا يصلى عليه ، ويدفن مع المشركين . وهو فى الاخرة من أهل الجنة . كما أن المنافقين فى الدنيا تجرى عليهم احكام المسلمين وهم فى الدرك الاسفل من النار "ولن تجد لهم نصيرا " (٢) .

فحكم الدار الاخرة خلاف حكم الدار الدنيوية .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث " كل مولود يولد على الفطرة " انما أراد به الاخبار بالحقيقة التى ولدوا عليها . ولم يرد به الاخبار باحكام الدنيا فانه قد علم بالاضطرار من الشرع ان اولاد الكفار تبع لابائهم فى احكام الدنيا . وان اولادهم لا ينزعون منهم اذا كانوا من أهل الذمة فان كانوا محاربين استرقوا ولم يتنازع المسلمون

---

(١) تعتبر الدار دار اسلام اذا توفر فيها امران :
احدهما : أن تكون محكومة بسلطان الاسلام مطبقة عليها أحكامه .
الثانى : ان يكون امانها بامان المسلمين اى سلطانهم
ودار الحرب او دار الكفر هى البلاد التى تحت سلطان اهل الحرب .
(٢) النساء ـ ١٤٥ .

فى ذلك، وانما حصل النزاع فى ذلك الطفل الذى مات ابواه، او احدهما، هل يحكم باسلامه ؟ ام لا ؟

فالامام احمد - رحمه الله - فى احدى رواياته، حكم باسلامه لانه ليس معه ابواه، فهو على الفطرة، وهى الاسلام .

وعند الجمهور والرواية الثانية لاحمد : لا يحكم باسلامه . وقد ايد هذا الشيخ ابن تيمية قال : وهو الصواب، بل هو اجماع قديم من السلف والخلف، بل هو ثابت بالسنة التى لا ريب فيها[1].

ثانيا : اعتراض طائفة من اهل الفقه والنظر .

كذلك اعترضت طائفة من اهل الفقه والنظر، وذكرت استحالة ان تكون الفطرة هى الاسلام، مستدلة بالادلة التالية :

(١) لان الاسلام والايمان : قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل، ولا يجهل ذلك ذو عقل .

(٢) الدليل الثانى : وقد اعترضوا به على قول ابن شهاب الزهرى حينما سأله الاوزاعى[2] عن رجل عليه رقبة مؤمنة، ايجزئ عنه الصبى ان يعتقه وهو رضيع ؟ قال نعم لانه ولد على الفطرة، يعنى الاسلام .

---

(١) انظر شفاء العليل (ص ٢٩٧) بتصرف .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى، من قبيلة الاوزاع، امام الديار الشامية الفقيه الزاهد، واحد الكتاب المترسلين . ولد فى بعلبك سنة ٨٨هـ ونشأ فى البقاع وسكن فى بيروت، عرض عليه القضاء فامتنع، مات سنة ١٥٧هـ الاعلام (٤ : ٩٤) .

قالوا : فانما اجزأ عتقه عند من اجازه ، لان حكمه حكم ابويه . وخالفهم في ذلك آخرون قالوا : لا يجزىء في الرقاب الواجبة الا من صام وصلى[1].

الرد على هذا الاعتراض :

نقول : اعتراض هذه الطائفة على مذهب السلف اعتراض ضعيف ، ولا يفهم منه استحالة ان تكون الفطرة هي الاسلام كما ذكروا . وذلك لان قولهم في الاعتراض الاول : ان الاسلام والايمان قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وهذا معدوم من الطفل . . . الخ . قول صحيح لا يخالف فيه واحد . ولا يغيب عن صاحب عقل ، ولكن ليس هذا ما يفهم من كلام السلف : ان المولود يولد على الاسلام بمعنى ان تكون فطرته تستلزم ان يكون مكلفا بالاسلام ، وانه خرج من بطن له يعلم هذا الدين ويريده فهذا لم يقله احد ولنستمع الى شيخ الاسلام في هذا المقام :

يقول رحمه الله : (ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة ان يكونوا حين الولادة معتقدين للاسلام بالفعل ، فان الله اخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا ، ولكن سلامة القلب وقبوله وارادته للحق : الذي هو الاسلام بحيث لو ترك من غير مغير ، لما كان الا مسلما)[2].

وقولهم في الاعتراض الثاني : ان القوم اختلفوا في جواز عتق الصبي الرضيع عن رجل عليه رقبة مؤمنة . . . الخ . قول صحيح ايضا . لكن لا يفهم منه استحالة ان تكون الفطرة هي الاسلام .

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام (ص ٢٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام (ص ٢٤٨) .

فالفريق الاول الذى اجاز عتق الصبى الرضيع، انما اجازه بناء على ان الصبى رقبة مؤمنة، وان قوله تعالى " فتحرير رقبة مؤمنة "(١) يشمل الصبى الرضيع وغيره .

والفريق الثانى اشترط فى الرقبة المؤمنة التكليف، الامر الذى لا يقوى امام القول الاول . فثبت صحة استدلال السلف بقول ابن شهاب وبطل اعتراضهم .

ثالثا : اعترضت فرقة اخرى على مذهب السلف، زاعمة انه لو فطر الناس جميعا على الاسلام لما كفر احد ، والثابت خلاف هذا كما يشهد بذلك الكتاب والسنة ويكذبه الواقع .

قالت هذه الفرقة : ليس المراد بقوله تعالى " فطرة الله التى فطر الناس عليها " وقوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة " العموم . وانما المراد بقوله " الناس " اى المؤمنين . لانه لو فطر الجميع على الاسلام لما كفر احد . وقد ثبت انه تعالى خلق اقواما للنار :" ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ".(٢)

كذلك اخرج تعالى الذرية من صلب آدم سوداء وبيضاء، كما حدث بذلك

---

(١) النساء : ٩٢ ، والمجادلة : ٣ .

(٢) الاعراف : ١٧٩ .

النبى صلى الله عليه وسلم فى احاديث كثيرة.[1] وقال فى الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام " طبع يوم طبع كافرا ".[2]

وايضا روى ابو سعيد الخدرى قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهار،[3] وكان فيما حفظنا ان قال : " الا ان بنى آدم خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا ، ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ، ومنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافرا ، ومنهم من

---

(١) منها ما اخرجه مالك فى الموطأ ، واحمد ، والبخارى فى التاريخ ، وابوداود والترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير وغيرهم ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الاية " واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم .... " (الاعراف : ١٧٢) فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال : ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية - وفى رواية بيضاء - فقال خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل اهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية - وفى رواية سوداء - فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون ... " الحديث

(٢) الحديث بتمامه رواه مسلم عن عبدالله بن مسلمة بن قعنب ، حدثنا معتمربن سليمان ، عن ابيه عن رقبة بن مسقلة ، عن ابى اسحق ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ، ولو عاش لا رهق ابويه طغيانا وكفرا " . رواه مسلم ، ورواه الدارمى فى كتاب السنة ، واحمد بن حنبل (٥ : ١١٩) .

(٣) يريد : والشمس طالعة .

يولد كافرا ويحيا كافرا ويموت مؤمنا ، ومنهم حسن القضاء حسن الطلب . . .(١)

قالوا : والعموم بمعنى الخصوص كثير فى كلام العرب الا ترى الى قوله تعالى " تدمر كل شئ "(٢) ولم تدمر السموات والارض .

وقوله تعالى " فتحنا عليهم ابواب كل شئ "(٣) ولم تفتح عليهم ابواب الرحمة.(٤)

دفع هذا الاعتراض :

اقول : اعتراض هذه الفرقة على مذهب السلف اعتراض غير سليم ، وفى غير محله ، وقد تصدى علماء السلف للرد عليه بما لا يدع مجالا للشك فى بطلان ماقالوه . بل الواقع خلافه ، والاحاديث صريحة فى فساده .

فظاهر الاية الكريمة ، والحديث الشريف تعميم الوصف المذكور فى جميع الناس وفى جميع المولودين . واصرح منه رواية يونس بلفظ " مامن مولود الا يولد على الفطرة " وهذا يعم جميع المولودين .

ولمسلم من طريق ابى صالح ، عن ابى هريرة " ليس من مولود يولد الا على هذه الفطرة ، حتى يعبر عنه لسانه " .

---

(١) الحديث ذكره حماد بن زيد بن سلمة فى مسند الطيالسى ، قال : حدثنا على بن زيد عن ابى نضرة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنهم . وهذا الحديث طويل رواه الامام احمد فى مسنده (٣ : ١٩) ولا حاجة لذكره هنا .

(٢) الاحقاف : ٢٥ .

(٣) الانعام : ٤٤ .

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبى (١٣ : ٢٦) .

وله ايضا عن ابى بكر بن ابى شيبة ،وابى كريب رواية بلفظ " مامن مولــود يولد الا وهو على الملة" وفى رواية " الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه"[(١)] .

واصرح من هذا كله ، رواية جعفر بن ابى ربيعة ، عن الاعرج عن ابــى هريرة " كل بنى آدم يولد على الفطرة . . . " الحديث . وحديث قتيبة بن سعيد عن ابى هريرة " كل انسان تلده امه على الفطرة . . . "[(٢)] .

ونحن نعتقد ان هذه الروايات تكفى فى الرد عليهم . وفى ابطال اصــل اعتراضهم هذا .

وما استدلوا به من الايات والاحاديث ليس فيه بغيتهم ،اذ المقصود مــن هذه الايات والاحاديث : انه تعالى سبق علمه فى خلقه ،فعلم ماهم صائــرون اليه ،بعلمه الكاشف ،الذى تنكشف له جميع المعلومات ،فقدر ان الناس فريقـــان فريق للجنة ،وفريق للنار .

وقولهم فى الغلام الذى قتله الخضر[(٣)] عليه السلام ،ليس فيه مايشعر بصحــة اعتراضهم ،وسنبين هذا فى موضع آخر فيما بعد .

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى (١٦ : ٢٠٧ – ٢١٠) .

(٢) نفس المصدر (١٦ : ٢١٠) .

(٣) هو الذى سماه القرآن الكريم العبد الصالح قال تعالى فى سورة الكهف :
" فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما" : ٦٥
وهو الذى خرق السفينة ،وقتل الغلام ،واقام الجدار .
وقد اختلف العلماء فيه هل هو نبى او ولى ؟ والله اعلم .

والحديث الذى رواه ابو سعيد الخدرى ليس من الاحاديث التى لا مطمئن فيها ، لانه انفرد به على بن زيد بن جدعان ، وقد كان شعبة يتكلم فيه . على انه يحتمل قوله عليه السلام " يولد مؤمنا " و " يولد كافرا " ان يكون معناه يولد ليكون مؤمنا ، وليكون كافرا على سابق علم الله فيه . وما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

بقى فى الرد على هذه الفرقة ان نقول : ان ما ادعته من ان العموم بمعنى الخصوص ، ادعاء ليس مقبولا فى الايات التى استشهدوا بها . لان للعلماء فى تعريف (الشىء) كلام طويل . هل يطلق على الموجود فقط ؟ او على الموجود والمعدوم ؟ وهل المعدوم شىء ؟ .... واسئلة كثيرة غيرها ، نشأ اختلاف واسع للعلماء فيها مما لا حاجة لنا به . ويكفى فى الرد عليهم هنا ماقاله ابن القيم فى تفسير قوله تعالى " تدمر كل شىء " : اى يقبل التدمير ، ومن شأن الريح ان تدمره ، وبمثله يقال فى الاية الثانية[1] . فثبت بطلان ماقالوه ، وصح استدلال السلف فيما ذهبوا اليه .

رأينا فى مذهب السلف

فى تقرير هذا المذهب ، والتعليق عليه نقول : هذا المذهب يفيد بظاهره فى بيان معنى الفطرة انها الاسلام الذى جاء به نبى الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، بما فيه من عقائد وعبادات ومعاملات .

---

(١) الطب النبوى لابن القيم (ص١٠) تصحيح واشراف عبد الغنى عبد الخالق .

ومنهم المذهب على هذا الوجه لا يمكن قبوله للاسباب التالية :

السبب الاول : لانا لو سألنا الطفل عن الاسلام فى هذه الحدود فانه لا يدرى عنه شيئا ، وهذا هو الواقع قطعا . بل هناك من لا يعلم الاسلام بهذه الحدود من اصحاب العقول السليمة من الكبار .

السبب الثانى : ان الله سبحانه وتعالى يقول : " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون "(١) وهذا نص صريح واضح قطعى الثبوت والدلالة فى ان الطفل يخرج من بطن امه غير عارف بالاسلام عقيدة وشريعة ، وليس فيه ان المولود يولد عالما بالشريعة فان هذا ليس من الفطرة فى شىء ، ولا يفهم منه خلاف هذا .

السبب الثالث : اذا كنا مفطورين على الاسلام بهذا المعنى العام ، فلماذا ارسل الله الرسل ؟ وما الحاجة اليهم ؟ ولماذا كانت الكتب السماوية ؟ وما الداعى الى التكليف والله يقول " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين "(٢) .

ويقول تعالى " اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا "(٣) .

ويقول ايضا " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان

---

(١) النحل : ٧٨ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٣ .

يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء"[١].

ويقول : "افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ،فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين"[٢].

ويقول ايضا " ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين"[٣].

لهذه الاسباب وغيرها فان المذهب لا يمكن قبوله بهذا المعنى .

وقد يظن ان في مذهب المعتزلة[٤] في الحسن والقبح العقليين ،ما يؤيد ذلك . لانهم قالوا : ان الانسان يدرك كثيرا من الاحكام دون ما حاجة الى نبي او رسول .

---

(١) الانعام : ١٢٥ .

(٢) الزمر : ٢٢ .

(٣) الصف : ٧ .

(٤) من الفرق الاسلامية ،اول من اطلق عليها هذا الاسم الحسن البصري حينما قال : اعتزلنا واصل بن عطاء . وقيل لاعتزالهم قول الامة بأسرها ،وقيل غير ذلك . ولهم آراء خاصة في العقيدة الاسلامية وهم اصحاب الاصول الخمسة : التوحيد ،العدل ،الوعد والوعيد ،المنزلة بين المنزلتين ،الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ١١٥) ،وانظر الفصل في الملل والاهواء والنحل (١ : ١٥٤، ١٩٥) ،وانظر تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة (١ : ١٣٨) .

نقول : هذا الرأى رغم مناقشته وابطاله كما فى علم الاصول[1]، وعلم العقائد لا يؤيد هذا المذهب، لان كلام المعتزلة يفيد ان الانسان بعقله، يدرك كثيرا من الاحكام ولم يزعموا انه يدرك هذه الاحكام بفطرته، فليس فى مذهب الاعتزال - حتى على فرض صحته - مايؤيد هذا المذهب .

نعم لو اراد اصحاب هذا المذهب من الاسلام العقيدة الاولى، وهى الايمان بالربوبية، ومعرفة ان لهذا الكون ربا، وهذا مايفيده كلام البعض منهم ولنستمع لشيخ المذهب ابن تيمية نفسه فى مجموع الفتاوى الجزء الرابع، الطبعة الاولى سنة ١٣٨١هـ فى الصفحة ٢٤٧ حيث قال مانصه : (ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة، ان يكونوا حين الولادة معتقدين للاسلام بالفعل، فان الله اخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا، ولكن سلامة القلب، وقبوله، وارادته للحق الذى هو الاسلام، بحيث لو ترك من غير مغير لما كان الا مسلما) .

وقال فى موضع آخر[2] حين سئل عن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة . . . " الحديث . قال : على السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة .

نقول : نعم هو لو ارادوا هذا، لكان مذهبا صحيحا، ومقبولا، والشواهد عليه كثيرة من القرآن والسنة، كما سيأتى حينما نختار المذهب الصحيح .

---

(١) هو العلم بالقواعد التى يتوصل بها الى استنباط الاحكام العملية من ادلتها التفصيلية . انظر الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى (١ : ٧) وانظر اصول الفقه للامام ابى زهرة (ص ٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤ : ٢٤٥) .

المذاهب الاخرى فى الفطرة

المذهب الثانى :

وهو مذهب طائفة من العلماء ، منهم ابن الاثير[(١)] ذهبوا الى ان المراد بالفطرة : الخلقة التى يخلق عليها المولود من المعرفة بربه . فكأنه عليه السلام قال : كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة[(٢)] .

قال ابن الاثير : انه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ، ولم يفارقها الى غيرها ، وانما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر ، والتقليد[(٣)] .

وانكرت هذه الطائفة ان يكون المولود يفطر على الاسلام ، او على غيره .

وقد نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية تفصيلا لهذا المذهب ، واعتراضا عليه .

---

(١) على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ، ابو الحسن عز الدين بن الاثير المؤرخ الامام ، من العلماء بالنسب ، والادب ، سكن الموصل ، وتوفى بها من تصانيفه : الكامل ، واللباب ، توفى سنة ٦٣٠ هـ . الاعلام (٥ : ١٥٣) .

(٢) نقل هذا المذهب ابن القيم فى كتابه شفاء العليل عن ابن عبد البر ، حكاية عن هذه الطائفة .

(٣) انظر لسان العرب ، لابن منظور (٥ : ٥٩) .

قال ابن القيم : قال شيخنا : صاحب هذا القول ،ان اراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها ،فهذا ضعيف ،فان مجرد القدرة على ذلك لا يقتضى ان يكون حنيفا ،ولا ان يكون على الملة ،ولا يحتاج ان يذكر تغيير ابويه لفطرته . . . ولان القدرة فى الكبير اكمل منها فى الصغير ،والرسول عليه السلام لما نهى المسلمين عن قتل الصبيان ،فقالوا : انهم اولاد المشركين ،قال :اوليس خياركم اولاد المشركين ؟ ثم قال :" مامن مولود الا ويولد على الفطرة . " الحديث ولو اريد القدرة لكان البالغون كذلك ،مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل .

وان ارادوا بالفطرة : القدرة على المعرفة مع ارادتها ،فالقدرة الكاملة مع الارادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور . فدل على انهم فطروا على القدرة على المعرفة وارادتها وذلك مستلزم الايمان .

تقويم هذا القول :

لقد فصل الشيخ فى المراد بقولهم فقال :

(١) ان اراد اصحاب هذا القول : ان الانسان مولود على الفطرة ،اى قادر مجرد قدرة على الاسلام والايمان ،فهذا ضعيف ،لان مجرد القدرة لا يحقق المقدور ،ولا وجه لتكفير ابويه اياه . . .الى آخر قوله .

ونحن نقول له : اعتراضك هذا فاسد ، لانه لم يدع احد انه البتة من الاهتداء لكل مولود ،فكونه مخلوقا قادرا على الاهتداء ،لا يستلزم الاهتداء ولم يدع احد ذلك .

وقول الشيخ انه لا معنى لكون ابويه يهودانه او ينصرانه . فهو مردود ايضا

لان باستطاعة والديه ان يمنعاه من استعمال هذه القدرة الفطرية لما خلقت له .

(٢) وان ارادوا بالفطرة : القدرة على الاهتداء مع الارادة ، فهذا هو بعينه ماقلناه من ان المراد فطرة الاسلام . لانه اذا اجتمعت القدرة والارادة التامة ، كان لابد من حصول المراد وهذا ماننبغيه من قولنا .

ونحن نقول له ايضا : انه اعتراض فاسد ، لان كثيرا من المرادات البشرية لا تحصل مع تمام القدرة والارادة ، وذلك لوجود مانع قهرى يمنع من حصول المراد ومن هنا كان القول المشهور : لابد لحصول الشيء من توفر المقتضى وارتفاع المانع .

ومن ناحية ثانية فهذا بهذا التأويل ، لا يلتقى بما اختاره ابن تيمية زاعما انه هو . لان الرأى الذى اختاره ابن تيمية كأسلافه المحققين ان الاسلام هو فطرة من يولد . وان معنى قوله عليه السلام " يولد على الفطرة " اى الاسلام وهذا القول بالتأويل الذى يسلكه ابن تيمية ماهو الا ارادة الاسلام . وفرق بين المراد والارادة ، ففرق بين الاسلام وارادة الاسلام . فثبت بطلان اعتراضه والله اعلم .

التعليق على هذا المذهب

فى حكاية هذا المذهب ما يشعر بالتناقض بين عجز العبارة[1] وصدرها ، فانه قال فى صدرها مانصه (الخلقة التى خلق عليها المولود من المعرفة بربه) ، وهذا قول صريح فى انه مفطور على المعرفة .

بينما يقول فى عجزها (يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة) فان معناه : انه ليس مفطورا على المعرفة ، بل خلق بحيث يكون مستعدا للمعرفة اذا مابلغ مبلغ المعرفة .

وحاصله ان الانسان خلق وفيه قوة الاستدلال ، والاستنتاج ، وهذا بخلاف بقية الحيوانات ، حيث لم تمنح تلك القوة .

اذا لابد لنا من التوفيق بين الصدر والعجز ، فنقول :

ان المعول عليه فى العبارة هو العجز ، وقد درج ابن القيم فى شرح هذا المذهب على ذلك . قال : يريد صاحب هذا القول انه خلق خلقة مخالفة لخلقة البهائم التى لاتصل بخلقتها الى معرفة ربها .

هذا هو المقصود بهذا القول فى هذا المذهب ، اذا فلنأول فى صدرها فنقول : حيث قال فى صدرها : (الخلقة التى خلق عليها المولود من المعرفة بربه) اما انهم يريدون بالمعرفة الاستعداد لها ، وعبروا من الاستعداد بنتيجته وهو المعرفة ، تعبيرا مجازيا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم او الكلام على تقدير مضاف (من المعرفة) اى من الاستعداد للمعرفة .

---

(١) نهايتها ، وعجز الشىء نهايته . ومنه قولنا رجل عجوز اذا بلغ نهاية حياته ، ويقال : عجز عن فعل الشىء اذا بذل نهاية جهده واستفراغ وسعه فى فعله .

مقارنة بين هذا المذهب والمذهب الاول

بعد هذا نقارن ونوازن بين هذا المذهب والمذهب السابق فنقول : بينهما فرق . لان المذهب الاول اذا اخذناه بظاهره فمعناه ان الانسان مفطور على الاسلام فى عقائده ومعاملاته ، بينما هذا المذهب يقول : ان الانسان مفطور على الاستعداد لمعرفة الاسلام ، وفرق بين معرفة الاسلام والاستعداد لتلك المعرفة .

وكذلك اذا اولنا المذهب الاول ، وقلنا : ان المراد بالاسلام العقيدة الاولى فيه ، وهى الربوبية ، فيكون معنى المذهب الاول ان الانسان مفطور على ان له ربا خالقا ، بينما المذهب الثانى انه مفطور على مجرد الاستعداد للمعرفة ، وليس على المعرفة نفسها .

نعم اذا اخذنا بصدر العبارة ، دون التأويل السابق ، الذى اسلفناه لم يكن هناك كبير فرق بين المذهب الاول والثانى .

المذهب الثالث :

وهو مذهب طائفة من العلماء ، منهم الامام مالك رضي الله عنه ، وعبد الله ابن المبارك[١] ، واحمد بن حنبل قبل ان يرجع عنه .

قالت هذه الطائفة : ان الفطرة تعني البداءة التي ابتدأ الله المولود بها عليها .

قال ابن المبارك : ان المراد ان المولود يولد على مايصير اليه من شقاوة او سعادة ، فمن علم الله انه يصير مسلما ، ولد على الاسلام ، ومن علم الله انه يصير كافرا ولد على الكفر .

وقال المروزي : كان احمد يذهب الى هذا القول ثم تركه[٢] .

وقال ابو عمر بن عبد البر : مارسمه مالك في الموطأ ، وذكر في باب القدر من الاثار ، يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا والله اعلم[٣] .

يحكي ابن القيم هذا المذهب فيقول[٤] : يريدون انه مولود على مافطر الله عليه خلقته ، من انه ابتدأهم للحياة والموت ، والسعادة والشقاء ، والى مايصيرون

---

(١) عبد الله بن مبارك الحنظلي بالولاء ، المروزي ابو عبد الرحمن : الحافظ شيخ الاسلام المجاهد ، التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، افنى عمره في الاسفار ، حاجا ومجاهدا وتاجرا . وجمع الحديث والفقه والعربية وايام الناس . مات بعد انصرافه من غزو الروم بالقرب من الفرات .
تذكرة الحفاظ (١ : ٢٧٤) .

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن (ص ٢٥) .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) انظر شفاء العليل (ص ٢٩٠) .

اليه عند البلوغ .

وقد فسر رجال السلف حقيقة هذا القول ، وردوا عليه ، بما سنبينه بعد الاستدلال على هذا المذهب .

الاستدلال على هذا المذهب

استدلت هذه الطائفة على هذا المذهب بأدلة من القرآن الكريم ، والسنة ومن كلام العرب واقوالهم .

اما الكتاب فمما احتجوا به من آيات :

قوله تعالى " وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة "[1] .

وجه الاستدلال :

ان الانسان بعد البلوغ يكون على مافطر عليه من اسلام او كفر ، فان فطر وبدء خلقه على ان يكون مسلما مهتديا كان بعد البلوغ مسلما مهتديا ، وان فطر على ان يكون ضالا ، كان بعد البلوغ ضالا كافرا .

وقد روى مثل هذا عن محمد بن كعب القرظي[2] فهو يقول : من ابتدأ الله

---

(١) الاعراف : ٢٩ .

(٢) محمد بن كعب بن سليم بن اسد القرظي - ابو حمزة وقيل : ابو عبدالله المدني من حلفاء الاوس ، كان ابوه من سبي قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة=

خلقه للهدى صيره الى الهدى ،وان عمل باعمال الضلالة ،ومن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره الى الضلالة ،وان عمل بأعمال الهدى .

وقد استشهد بقصة خلق ابليس فقال : ابتدأ الله خلق ابليس على الضلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة ،ثم رده الله الى ما ابتدأ عليه خلقه من الضلالة وكان من الكافرين .

الرد على هذا الاستدلال :

نقول : ظن صاحب هذا الاستدلال ان " فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة " ،تفسيرا للفطرة التى يكون عليها الانسان ،والتى سيكون على مقتضاها بعد البلوغ . وهذا تفسير غريب وبعيد ،وهو مخالف لما عليه جمهور المفسرين من ان المراد بالبدء ،بدء الخلق ،وبالاعادة اعادة الخلق يوم القيامة ،لا العود الى الفطرة بعد البلوغ كما زعموا .

على ان العود كما صوروا غير معقول ،لان العود يقتضى مفارقة العائد لما يعود اليه ،وفى هذا المذهب لا يتصور مفارقة ثم عود ،بل الاية كما قال جمهور المفسرين انما جاءت دليلا على جواز العود فى الحياة .

ونسوق الان كلام المفسرين فيها ،وفى نظائرها من الايات الكثيرة التى

= روى عن جمع من الصحابة ،ولد فى حياة النبى عليه السلام ،ويقال : انه رآه وقيل انه ولد فى آخر خلافة على رضى الله عنه . مات فى المدينة سنة ١١٨هـ . تهذيب التهذيب (٩ : ٤٢٢) .

يحتج الله فيها على النشأة الثانية بالاولى ، وعلى المعاد بالمبدأ ، حيث جاء الله تعالى باحتجاج فى غاية الاختصار والبيان فقال " كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة" .

وقال " كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين" (١) .

وقال " انه هو يبدئ ويعيد " (٢) .

وقال " اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون" (٣) .

وقال " الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون" (٤) .

وقال " قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون" (٥) .

وقال " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم" (٦) .

اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى " كما بدأكم تعودون " على اقوال :

---

(١) الانبياء : ١٠٤ .

(٢) البروج : ١٣ .

(٣) يونس : ٤ .

(٤) الروم : ١١ .

(٥) يونس : ٣٤ .

(٦) الروم : ٢٧ .

(١) قال جل المفسرين ان البدء هو بدء الخلق ، والاعادة هى اعادة الخلق يوم القيامة . وهذا قول مجاهد ، والحسن البصرى ، وقتادة ، وعبد الرحمن ابن زيد بن اسلم[1] ، وكثير غيرهم .

فمن مجاهد قال : كما بدأكم تعودون : يحييكم بعد موتكم .

وقال الحسن : كما بدأكم فى الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة احياء .

واختار هذا ابن جرير وايده بحديث سفيان الثورى ، وشعبة بن الحجاج[2] كلاهما عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : " يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة غرلا ، كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين " .

(٢) ذهب ابو العالية الى ان معنى قوله تعالى " كما بدأكم تعودون " اى ردوا الى علم الله فيهم .

(٣) وقال سعيد بن جبير : كما كتب عليكم تكونون .

---

(١) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى القرشى ، وال ، كان من اتم الرجال خلقة ، روى الحديث عن ابيه وغيره ، وروى عنه ابنه عبد الحميد وآخرون ، وزوجه عمر بن الخطاب ابنته فاطمة ، وولاه يزيد بن معاوية مكة ، توفى نحو ٦٥ هـ . الاعلام (٤ : ٧٨) .

(٢) هو شعبة بن الحجاج العتكى الازدى مولاهم ، البصرى ، من ائمة رجال الحديث حفظا ودراية وتثبيتا ، سكن البصرة وهو اول من فتش عن امر المحدثين ، قال فيه الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق . وكان عالما بالادب والشعر مات سنة ١٦٠ هـ / تاريخ بغداد (٩ : ٢٥٥) .

(٤) واخيرا ماقاله محمد بن كعب القرظى وهو ما استدل به اصحاب المذهب.

وحاصل كلام المفسرين ،ان الله تعالى حيث امكنه ان يبدأ الخلق ، يمكنه ان يعيده ،كما قال تعالى ذلك فى صراحة واضحة فى بقية الايات السابقة وهو اهون عليه . كل هذه الايات تشهد بأن الاية التى استدلوا بها على مذهبهم ليس المراد منها ماقالوه ،بل المراد منها الاستدلال على صحة البعث وذلك بأن الذى قدر على البدء قادر على الاعادة ،كما هو صريح مثيلاتها من الايات التى ذكرنا . بل يؤيد هذا تام التأييد قوله تعالى " وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ،قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم "[1] .

واما السنة : فقد احتجوا بقول ابن عباس[2] رضى الله عنهما : لم ادر مافاطر السموات والارض،حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر،فقال احدهما : انا فطرتها . اى ابتدأتها ،وذكر دعاء على رضى الله عنه (اللهم جبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها) اى على ما ابتدأتها عليه من سعادة وشقاء .

---

(١) يس : ٧٨، ٧٩ .

(٢) ابن عباس : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عم الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له النبى عليه السلام بالفقه والحكمة فى الدين ،كان يقال له حبر هذه الامة . كان عمر يقربه من الصحابة،تقديرا لسداد رأيه ومبلغ علمه تولى الامارة على البصرة فى عهد على ثم امضى آخر ايامه فى الطائف ومات فيها سنة ٦٨هـ . الاصابة (٢ : ٣٣٠) .

دفع هذا الاحتجاج :

نقول : ليس في قول ابن عباس حجة على هذا المذهب لان كل ماذكر في القصة يفيد ان الفطرة معناها الابتداء ، اما انها فطرة هي الاسلام او قبول الاسلام ، او ابتداء الخلق اشقياء وسعداء ، او غير هذا فلا تعرض له في القصة فبطل الاستدلال بها .

واما كلام العرب : فان الفطرة في كلامهم هي البداءة ، والفاطر هو المبتدئ .

وهذا الاستشهاد لا يشهد على ان الانسان مفطور على ماقالوه ، بل كلام مطلق ، فلا يصلح دليلا لهم .

وماساقه ابن القيم تصويرا وتفسيرا للمذهب انما فيه تقييد لكلام اهل اللغة وهو مطلق لا يحتمل هذا التقييد ، ولعل اصحاب هذا المذهب استدلوا باللغة على ان المراد بالفطرة بدء الخلقة فقط ، دون ان تكون على كفر او اسلام ، وهذا هو الظاهر المتبادر .

الرد على هذا المذهب :

وقد فسر رجال السلف حقيقة هذا المذهب وردوا عليه ، وقد وجدنا هذا في فتاوى الشيخ بن تيمية رحمه الله ،(١) حيث اجاب رادا على من قال : كل مولود مفطور على ماسبق في علم الله انه صائر اليه .

قال : (معلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم هي

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ : ٢٤٣ ، ٢٤٤) .

مولودة على ماسبق فى علم الله لها ، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة . وايضا فلو كان المراد ذلك لم يكن لقوله عليه السلام " فأبواه يهودانه او ينصرانه ، او يمجسانه " معنى فانهما فعلا به ماهو الفطرة التى ولد عليها ، فلا فرق بين التهويد والتنصير.(١)

فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعاء ، ثم جدعت يبين فيهان ابويه غيرا ماولد عليه . ثم يقال : وقولكم : خلقوا خالبين من المعرفة والانكار ، من غير ان تكون الفطرة تقتضى واحدا منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذى يقبل كتابة الايمان والكفر ، وليس هو لاحدهما اقبل منه للآخر ، فهذا قول فاسد . فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار ، والتهويد والتنصير والاسلام ، وانما ذلك بحسب الاسباب ، فكان ينبغى ان يقال : فأبواه يسلمانه او يهودانه او ينصرانه ، فلما ذكر ان ابويه يكفرانه ، وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه فى حصول سبب منفصل غير حكم الكفر .

ففى الجملة كل ماكان قابلا للمدح والذم على السواء ، لا يستحق مدحا ولا ذما ، والله يقول " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله . . . " الاية وايضا فالنبى شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق ، وشبه مايطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ، ومعلوم ان كمالها محمود ، ونقصها مذموم ، فكيف تكون قبل النقص لا محمودة

---

(١) زاد ابن القيم على هذا ـ وبين تلقى الاسلام وتعليمه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع ، فان ذلك كله واحد فيما سبق به .
شفاء العليل (ص ٢٩٠) .

ولا مذمومـــة ؟ .

مناقشة هذا الاعتراض على هذا المذهب :

لقد تعرض ابن تيمية لهذا المذهب ورده من عدة وجوه :

الوجه الاول : قال : ان كل مخلوق خلق على ما سيكون اليه ، وليس خاصا بالمولودين فقط ، فتخصيصه بالمولودين لا وجه له ، لان كل المخلوقين كذلك انما يخلقون على ما سيكون عليه امرهم .

وهذا الرد من ابن تيمية ليس فيه ما يبطل هذا المذهب ، بل ربما كان فيه اعتراف به ، فانه يقول : (لان كل المخلوقين كذلك انما يخلقوا على ما سيكون عليه امرهم) ففى هذا اعتراف خفى بأن المولود ولد على ما سيؤول اليه امره . غاية ما فى الامر فى توجيه الاعتراض ، ان هذا ليس خاصا بالمولودين ، بل هو جار فى كل مخلوق .

الوجه الثانى : قال ابن تيمية : اذا كان ما عليه الانسان انما يكون طبعه ما فطر عليه ، فلا فرق بين يهودى ونصرانى ، وكذلك لا فرق بين يهودى ومسلم بل الكل سواء لان يهودية كل منهما ونصرانيته ، وكذلك اسلام المسلم كل طبق ما فطروا عليه .

مراد بن تيمية ان يقول : انه اذا كان الانسان يخلق على ما فطر عليه فالمسلم كان مسلما لانه انما فطر على الاسلام ، واليهودى كان يهوديا لانه انما فطر على اليهودية وكذا النصرانى والمجوسى . . . الخ . اذا لا فضل لمسلم على يهودى ، وغيره ، ولا وجه لاستحقاق المسلم الجنة دون غيره .

هذا مراد ابن تيمية ، وهو اعتراض صحيح .

الوجه الثالث : قال ابن تيمية : اذا كانت اليهودية بالفطرة ، وكذا النصرانية فلا معنى لاسنادهما الى الابوين .

وهذا ايضا اعتراض سليم منه ، لانه اذا كان اليهودى يهوديا بفطرته والنصرانى نصرانيا بفطرته ، والمجوسى مجوسيا بفطرته فلا معنى لقوله عليه السلام "فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه" .

ثم ان ابن تيمية استشعر اعتراضا ربما يورده الخصم بأن معنى قوله عليه السلام " يهودانه او ينصرانه او يمجسانه " معناه يؤكدان يهوديته ونصرانيته اللتين هما بالفطرة ، فدفع هذا الاعتراض بأن الظاهر من الحديث كما هو السياق ان ابويه ينشئان فيه اليهودية والنصرانية . وقد استشهد بأن المراد ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" .

قال فى بيان الاستشهاد : (فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعاء ثم جدعت ، يبين فيه ان ابويه غيرا ماولد عليه) .

فحمل الحديث السابق على ان ابويه يؤكدان فيه اليهودية والنصرانية وغيرها ، غير صحيح . بل ان معنى قوله عليه السلام " يهودانه وينصرانه ويمجسانه" اى ينشئان فيه اليهودية والنصرانية والمجوسية .

تقرير هذا المذهب والتعليق عليه .

اخرنا بيان هذا المذهب لانه مذهب فيه خفاء ، وظاهره غير معقول حتى نستعرض ادلته وادلة خصومه ، لعلنا نهتدى بهذه الادلة الى المراد فى هذا المذهب .

ولقد تبين من الجدل والمناقشة فيه ، ان المناقشين فهموا من هذا المذهب ان فريقا من الناس يولد على الاسلام ، ويفطر عليه ، وفريقا يولد على اليهودية ويفطر عليها ، وفريقا يولد على النصرانية ويفطر عليها . . . الخ

هكذا فهم المناقشون ، وهو واضح من مناقشاتهم بحيث يفهم فى يسر وسهولة .

ونحن نقول : اذا فهمنا هذا المذهب على هذا النحو كان مذهبا باطلا بدهى البطلان ، ولا يحتاج الى هذه المناقشات الطويلة وذلك للاسباب التالية :

اذا كان الانسان مفطورا على الاسلام او اليهودية او غير ذلك من الديانات فلا معنى لارسال الرسل ، ولا معنى للتكليف ، ولا معنى للثواب والعقاب . بل نقول ان الواقع والمشاهد يكذب هذا المذهب فى هذا التفسير الذى فهمه المناقشون فان الانسان فى طفولته لا يدرى شيئا عن الاسلام او اليهودية . . . الخ وصدق الله العظيم " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون " .(١)

---

(١) النحل : ٧٨ .

والذى يبدو لنا ، ان مراد اصحاب هذا المذهب ان الناس خلقوا على فطر مختلفة : ففطرة مهيأة لقبول الاسلام ، واخرى مهيأة لقبول اليهودية وثالثة مهيأة لقبول النصرانية . . . الخ . حتى اذا ماشب وكبر ، وصار الى البلوغ في مرحلة التفكير والاختيار ، كانت الفطرة الاولى متقبلة للاسلام في يسر وسهولة ، نابذة دينا آخر ، وهكذا بقية الفطر .

يؤيد هذا ، مانراه من اختلاف طبيعة الارض . فمنها ماهو مهيأ وصالح لأن ينبت فيه القمح دون غيره من المزروعات ، ومنها ماهو مهيأ وصالح لان ينبت ويجود فيه القطن ، وهكذا . . . بل من الارض مالا ينبت شيئا كما هو مشاهد في الجبال الحجرية وبعض المناطق الرطبة .

على هذا النحو يسير صاحب هذا المذهب ، فهو يرى ان النفوس كذلك منها ماهو مهيأ للاسلام ، يتضح له جليا من ادلته الناصعة ، فما اسرع ان تنطبع فيه مبادئ الاسلام ، فيتقبله في يسر وسهولة . ومنها ماهو مهيأ للكفر والضلال ، يتقبله وينساق معه لادنى الشبهات ، وهذه الصورة المتباينة في النفوس نشهدها في كل عصر وصدق الله العظيم " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء "(1) .

هذا مانفهمه في تصوير هذا المذهب ، ولعلنا بعد هذا نجزم بأن المناقشات في هذا المذهب ليست بذات فائدة ، فهي جهاد مع عدو يتهاوى عند اول لقاء .

---

(1) الانعام : ١٢٥ .

مقارنة بين هذا المذهب والمذهبين السابقين

ونحن اذ نقارن ونوازن بين هذا المذهب والمذهبين السابقين نقول : اذا قارناه بالمذهب الاول ، نجد فرقا واضحا بينهما . فان المذهب الاول بحسب ظاهره يفيد ان الانسان خلق على الاسلام ، فالفرق بينهما اذا واضح . واذا كان المراد منه حقيقة ان الانسان فطر على العقيدة الاولى وهي الربوبية والخالقية فكذلك الفرق واضح بينهما . لان الاول يقول : ان الانسان مفطور على الربوبية وهذا المذهب يقسم الناس الى مفطورين على الاستعداد للاسلام ، والى مفطورين على الاستعداد للكفر . . . وفرق مابينهما .

واذا قارناه بالمذهب الثاني فالفرق واضح بينهما ايضا ، لان المذهب الثاني بناء على ما انتهينا اليه من التحقيق يرى ان الانسان فطر وهيء على ان يعرف الحق ، ويستنتج من آيات الله من حوله مايرشده الى هذا الحق . اما هذا المذهب فيقرر ان فريقا من الناس مفطور ومهيأ للاسلام ، وفريقا آخر مفطور ومهيأ لقبول الكفر وانواعه وفرق واضح بين المذهب الثالث والثاني . والله اعلم .

المذهب الرابع :

هذا المذهب يحكيه الامام الحافظ بن حجر العسقلانى فى فتح البارى[(١)] نقلا عن ابى عمر بن عبد البر . كما يحكيه الامام ابن القيم فى شفاء العليل[(٢)] ، وذكره التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون[(٣)] عن طائفة من العلماء ذهبت الى ان المعنى

نذكر المصادر التى ذكرت هذا المذهب، لان لنا فيه نظر ، نبينه فى نهاية هذا المذهب عند التعليق عليه .

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ، جاء فيه : (وفى المسألة اقوال اخرى ذكرها ابن عبد البر وغيره منها : قول ابن المبارك - وذكر المذهب الثالث - قال ومنها : ان المراد : ان الله خلق فيهم المعرفة والانكار فلما اخذ الميثاق من الذرية ، قالوا جميعا بلى ، فاما اهل السعادة فقالوها طوعا ، واما اهل الشقاوة فقالوها كرها .... الخ) . (٣ : ٤٩٣) مطبعة الحلبى .

(٢) انظر شفاء العليل ، جاء فيه : (فصل) وذهبت طائفة الى ان معنى قوله عليه السلام " كل مولود يولد على الفطرة " اى ان الله فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان ، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال : الست بربكم ؟ قالوا جميعا بلى ، فاما اهل السعادة فقالوا بلى معرفة له طوعا من قلوبهم ، واما اهل الشقاء فقالوا بلى كرها غير طوع) . (ص ٢٨٩) و (ص ٢٩٣) .

(٣) بعد ان ذكر المذهب الثالث قال : (وقال قوم : ان معنى ذلك ان الله تعالى قد فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان ، فأخذ من ذرية آدم عليه السلام الميثاق ...) (٥ : ١١٨) ، خياط ، بيروت .

المراد بالفطرة فى قوله عليه السلام " كل مولود يولد على الفطرة " : ان الله فطر الانسان على الانكار والمعرفة ، وعلى الكفر والايمان ، فأخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال : الست بربكم ؟ قالوا جميعا بلى ، فأما اهل السعادة فقالوا بلى ، على معرفة له طوعا من قلوبهم ، واما اهل الشقاء ، فقالوا : بلى كرها غير طوع .

الاستدلال على هذا المذهب

استدلت هذه الطائفة على ماذهبت اليه بأدلة من القرآن والسنة :

اولا : ومما احتجوا به من القرآن الكريم الايات التالية :

(١) قوله تعالى " ولـه اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها . . "[1] الاية .

وجه الاستدلال بهذه الاية :

يبين الله سبحانه ان كل من فى السموات ، والارض مستسلم له ، وان من اسلم طوعا ، انما اسلم لانه فطر على الاسلام ، ومن اسلم كرها انما هو من اجل انه فطر على غير الاسلام .

مناقشة هذا الاستدلال :

الاستدلال بهذه الاية على هذا المذهب غير سديد . لان الاستسلام معناه ان يسير المستسلم فى حياته ، ووجوده طبق ماقدر الله واراد ، فالانسان مثلا

---

(١) آل عمران : ٨٣ .

يستسلم طوعا بارادته فى اعماله الاختيارية، ويستسلم كرها فى اعماله الاضطرارية واذا كان المراد هذا من الاية فأى دلالة فيها على ان فريقا من الناس مفطور على الاسلام والمعرفة، وفريقا آخر مفطور على الكفر والانكار . فالاية انما تتحدث عما يجرى فى الكون، والكائنات . وان كل من فى السموات والارض يخضعون لقانون صارم فمنهم من يفعل مايقتضيه هذا القانون باختياره كأكله وشربه، ومنهم من يفعل مكرها مضطرا فهذا استسلام للقضاء، وحصول لما قضى الله به مضطرا الى ذلك لا مريدا .

فهذه الاية انما تتحدث عن قضاء الله وقدره، غير ان بعض التصرفات التى قضى الله بها، قد تحصل من الكائنات طوعا بارادة منها، كما فى الافعال الاختيارية للانسان . وبعض التصرفات قد تكون رغم انفه كالافعال الاضطرارية فهو حديث عن قضاء الله وقدره، وعن سلطانه وان احدا لا يستطيع ان يخرج عن هذا السلطان بوجه ما، سواء اكان مختارا ام مضطرا . فلا دلالة فى الاية على ماتدعيه هذه الطائفة .

ثم ان جمهور المفسرين معنا فى دلالة هذه الاية، فقد بين صاحب المنار[1] اختلاف العلماء فى اسلام الطوع والكره فيها فقال :

اختلف العلماء فى بيان اسلام الطوع والكره على اقوال :

---

(١) تفسير المنار، المسمى بتفسير القرآن الحكيم، للسيد محمد رشيد رضا (٩ : ٣٥٤، ٣٥٥) ، دار المنار، الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ .

ذهب بعضهم الى ان الاسلام هنا متعلق بالتكوين ، والايجاد ، والاعدام لا بالتكليف . اى انه تعالى هو المتصرف فيهم وهم الخاضعون المنقادون لتصرفه وقال الرازى[1] : ان هذا هو الاصح عنده ، ولم يذكر فيه معنى الطوع والكره . وكأنه يعنى ان مايحل بالعقلاء من تصاريف الاقدار ، منه مايصحبه اختيارهم عن رضى واغتباط ، فيكونون خاضعين له طوعا ، ومنه ماليس كذلك فيحل بهم وهم له كارهون .

ويقابل هذا الاسلام المتعلق بالتكليف والدين فقط . وصاحب هذا القول يفسر اسلام الكره بما يكون عند الشدائد الملجئة اليه كما قال تعالى "واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون"[2] .

وذهب البعض الى ان اسلام الكره مايكون عند رؤية الايات ، كما وقع لقوم موسى عليه السلام .

نقول : هذا التقسيم قد يستبعد ، لانه يلزم عليه ان يكون كل المؤمنين بالانبياء منهم انما آمنوا على سبيل الاكراه . وهذا غير صحيح لان كثيرا من اتباع الانبياء آمنوا بهم دون توقف على معجزة ، بل لما وجدوا فى شرائعهم من الحق وهؤلاء يقال لهم اسلموا طوعا . وهكذا قوم موسى منهم من اسلم وآمن وصدق

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن التميمى البكرى : فخر الدين الرازى ، الامام المفسر ، اشتهر بعلمه فى المنقول والمعقول ، وعلوم الاوائل .. قرشى النسب رحل الى خوارزم وماوراء النهر وخراسان ، وكان واعظا بارعا فى اللغتين العربية والفارسية مات سنة ٦٠٦هـ . الاعلام (٧ : ٢٠٣) .

(٢) لقمان : ٣٢ .

بمجرد الدعوة، ومنهم من اسلم وصدق بعد رؤية الايات .

وذهب البعض الى ان اسلام الكره مايكون عند الخوف من السيف او الموت حين يشرف الكافر على الاخرة، ولكنه اسلام لا ينفعه .

وذهب البعض الى ان هذا الاسلام اعم من اسلام التكليف، واسلام التكوين فهو يشمل مايكون بالفطرة، ومايكون بالاختيار .

وفى هذا المذهب وجوه :

قال الحسن : الطوع لاهل السموات خاصة، واما اهل الارض، فبعضهم بالطوع وبعضهم بالكره .

وقيل : ان كل الخلق منقادون لالهيته طوعا، بدليل قوله " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله"[1] ، ومنقادون لتكاليفه وايجاده للالام كرها .

وقيل : المسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا، فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من المرض، والفقر، والموت واشباه ذلك. واما المكابرون، فهم منقادون لله كرها على كل حال، فى التكليف والتكوين .

وقد نقل عن الامام محمد عبده[2] قوله : ان الذين اسلموا طوعا هم الذين

---

(١) الزمر : ٣٨ .

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من ال التركمانى، مفتى الديار المصرية، من كبار رجال الاصلاح والتجديد فى الاسلام، دعا الى تحرير الفكر من قيد التقليد . تلقى تعليمه بالازهر، تصوف وتفلسف، شارك فى مناصرة الثورة العرابية، سجن ونفى الى بلاد الشام، تولى منصب القضاء، صاحب رسالة التوحيد توفى بالاسكندرية ودفن بالقاهرة ١٣٢٣هـ . الاعلام (٧ : ١٣١) .

لهم اختيار فى الاسلام ،واما الذين اسلموا كرها فهم الذين فطروا على معرفة الله تعالى كالانبياء والملائكة[١].

هذا ما نقل عن المفسرين فى دلالة هذه الاية ،اما قول اصحاب المذهب : ان فى الاية ما يدل على ان الله فطر فريقا من الناس على الاسلام ،وفريقا على الكفر فهم اما مطيع واما كافر، فليس بصحيح ،ولم ينقل عن السلف فيما اعلم الا عن السدى فى تفسيره لآية الميثاق " واذ اخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا : بلى "[٢].

قال السدى : اخرج الله آدم من الجنة قبل ان يهبطه من السماء ،ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى ،فاخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر ،فقال : ادخلوا الجنة برحمتى ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى ،فاخرج منه كهيئة الذر سوداء فقال : ادخلوا النار ولا ابالى ،فذلك حين يقول : اصحاب اليمين ،واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال : الست بربكم ؟ قالوا : بلى .فاعطاه طائفة طائعين ،وطائفة كارهين على وجه التبعية[٣].

---

(١) تفسير المنار(٩ : ٣٥٥) .

(٢) الاعراف : ١٧٢ .

(٣) انظر تفسير الخازن ،المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ،لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن (٢ : ٣٠٩) ،مطبعة الحلبى ،الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ .

وفى قول آخر عنه انه زاد ـ وذلك حيث يقول تعالى " وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها . . . "[1] الاية .

فثبت بطلان الاستدلال بهذه الاية على هذا الوجه ، والله اعلم .

(٢) قوله تعالى " كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة . . "[2] الاية

وجه الاستدلال بهذه الاية :

ان الله خلق الناس بدءا ، فريق منهم فى هذا البدء مهدى ، وفريق ضال كما بدأه الله . بمعنى ان الله فطرهم على المعرفة والانكار وعلى الكفر والايمان .

مناقشة هذا الاستدلال :

ونحن فى مناقشة هذا الاستدلال نحتكم وهذه الطائفة الى مفسرى كتاب الله تعالى . هل نجد تفسيرا او مفسرا فسر الاية بهذا الوجه كما ذكروا ؟

لا نجد من المفسرين من ذهب الى ذلك ، وقد ذكرنا ماقيل فى تفسير هذه الاية عن مجاهد ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، وابى جعفر الطبرى وماقاله ابن عباس ، وابو العالية[3] وسعيد بن جبير وغيرهم من المفسرين .

---

(١) آل عمران : ٨٣ .

(٢) الاعراف : ٢٩ .

(٣) ابو العالية المزنى ، لا يعرف اسمه ، ولا سياق نسبه ، وذكره ابو احمد الحاكم فى الكنى ، اخرج حديثه الطبرانى فى مسند الشاميين من طريق ابى سعيد واسمه حفص بن غيلان ، عن حبان بن حجر عن ابى العالية المزنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ستكون بعدى فتن شداد خير الناس فيها المسلمون من اهل البوادى لا يفندون من دماء الناس ولا اموالهم " .

ولم يخالف فى ذلك الا محمد بن كعب القرظى ، وقد سبق قولـه فـى الاستدلال على المذهب الثالث . وهو مما لا يقوى امام ماذكره جل المفسرين .

وخلاصة القول : ان الاية ، جاءت للاستدلال على عودة الاموات الى حياة ثانية ، وانه امر ممكن ، فان الله حيث قدر على بدئهم من العدم وقد بدأهم بالفعل قادر على عودهم الى الوجود والحياة مرة ثانية ، بل العود اهون عليه كما قال سبحانه " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم "[1] .

اما قوله تعالى " فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة " فهو حديث منه عما يكون عليه الناس بعد بلوغهم ، فمنهم من هداه الله تعالى وآمن بالاعادة ، واقتنع بهذا الدليل الواضح ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فلم تفده الادلة الواضحة والبراهين الساطعة .

هذا هو معنى الاية ، فيما نعلم ، فلا دلالة فيها على ماتدعيه هذه الطائفة ايضا .

(٣) قوله تعالى " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون "[2] .

وجه الاستدلال :

يقرر الله فى هذه الاية ان لا تبديل ولا تغيير للخلقة التى خلق عليها

---

(١) الروم : ٢٧ .

(٢) الروم : ٣٠ .

ولد آدم ، وهذه الخلقة انما هى خلقهم على الايمان والكفر ، والمعرفة والانكار .

وقد ايد اسحق هذا القول (١) .

ذكر محمد بن نصر المروزى انه سمع اسحق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى ، واحتج بقول ابى هريرة : اقرأوا ان شئتم " فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ... " الاية .

قال اسحق : الحق نقول ، لا تبديل للخلقة التى جبل عليها ولد آدم كلهم يعنى من الكفر والايمان والمعرفة والانكار .

مناقشة هذا القول :

حمل الفطرة فى هذه الاية على فطرة الاسلام والكفر ، احتمال لابد له من دليل ، فقد يحتمل ايضا ان المراد بالفطرة ما خلق عليه الانسان من الصورة الخاصة ، ككونه ابيض او اسود ، طويلا او قصيرا سمينا او نحيفا ... الى غير ذلك كما قال تعالى " هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم " (٢) .

فلا يكون الانسان بعد خلقه قردا او حصانا ... بل من فطره الله انسانا

---

(١) اسحق بن راهويه بن مخلد الحنظلى التميمى المروزى ، ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان فى عصره ، من سكان مرو ، واحد كبار الحفاظ ، اخذ عنه الامام احمد بن حنبل ، والبخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وغيرهم ، ثقة فى الحديث صدوق رحل الى العراق والحجاز والشام واليمن توفى بنيسابور سنة ٢٣٨ هـ تهذيب التهذيب (١ : ٢١٦) ، الاعلام (١ : ٢٨٤) .

(٢) آل عمران : ٦ .

سيبقى كما فطر، وهكذا ما فطره الله حصانا لا يكون سبعا .. الى آخر ذلك من مخلوقاته، بل هذا هو المتبادر .

واذا كان هذا الاحتمال جائزا فى الاية، فلا تصلح دليلا، ولا يصح التمسك بها، لان ماتطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

(٤) واشهر ما استدلوا به من القرآن الكريم قوله تعالى " واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون ".[1]

وجه الاستدلال بهذه الاية :

الناس فى هذه الاية فريقان، فريق شهد وقال بلى معرفة لله وطوعا، وفريق شهد وقال بلى كرها غير طوع، وقد بينت السنة هذا وفصلته .

قال اسحق : اجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد، استنطقهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا : بلى . قال انظروا ان لا تقولوا انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل .

مناقشة هذا الدليل :

ليس فى هذا الدليل حجة على ان الناس فريقان، كما تدعى هذه الطائفة وكل ماتفيده الاية ان الله سبحانه استحضر الارواح قبل خلق الانسان على هذا

---

(١) الاعراف : ١٧٢، ١٧٣ .

النظام المعروف فى الحياة، وقررهم على انه ربهم ومليكهم ، حتى لا يقولوا اذا جاءتهم الرسل : انا كنا فى غفلة عن هذا ، او اشرك آباؤنا من قبل ، بل فى الاية ما يدل على انه تعالى خلقهم صحيفة بيضاء كما يشهد به قوله تعالى فى حكاية اعتذارهم "لقد كنا فى غفلةعن هذا" . ..

وادعاء اسحق ان اهل العلم اجمعوا انها الارواح قبل الأجساد ، ليس بصحيح ، لان للعلماء فى تفسير هذه الاية مذهبين[1] :

احدهما : وهو مذهب اهل التفسير والاثر، وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف كابن عباس، وعبد الله بن عمر[2]، والسدى ، ومقاتل[3] ، والزجاج ، ومحمد بن كعب

---

(١) انظر كتاب اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى (٢ : ٣٠٠) ، مطبعة المدنى .
وانظر ايضا التفسير الكبير للامام الفخر الرازى (١٥ : ٤٦) ، الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، ولد سنة ثلاث من البعثة وهاجر وهو ابن عشر سنين ، روى عن بعض الصحابة ، وروى عنه من التابعين واشتهر بورعه وعبادته وتقواه ، مات سنة ثلاث وسبعين للهجرة .
الاصابة (٢ : ٣٤٧) .

(٣) هو مقاتل بن سليمان البلخى المفسر، روى عن مجاهد والضحاك، قال فيه الشافعى : الناس عيال فى التفسير على مقاتل ، وقيل : انه كان يكذب، وقيل غير ذلك . مات سنة ١٥٠هـ .
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى (٤ : ١٧٣) .

القرظي ، والضحاك ، وعكرمة[(١)] ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وكثير غيرهم .

ومذهب هؤلاء : ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه ، واصلاب اولادهم وهم صور كالذر ، واخذ عليهم الميثاق انه تعالى خالقهم ، وانهم مصنوعه ، فاعترفوا بذلك وقبلوه .

الثاني : وهو مذهب اهل الكلام والنظر ، وبعض كبار المفسرين ، انه تعالى اخرج الذرية ، وانشأهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء ، وهم اولاد بني آدم ، فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود ، واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول ، واراهم عجائب خلقه ، وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى ، واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم ، وبارئهم ، وربهم ، ونافذ الحكم فيهم ، فلما عرفوا ذلك دعاهم الى التصديق بوحدانيته وربوبيته ، فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا . فعلى هذا القول يكون قولهم : بلى شهدنا ، على المجاز ، لا على الحقيقة ، وهذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب[(٢)] .

فثبت بطلان الاستدلال بهذه الاية ، ولم يصح الاجماع الذي ادعاه اسحق على هذه الاية .

---

(١) عكرمة بن عبدالله البربري المدني مولى بن عباس ، تابعي كان من اعلم الناس بالتفسير والمغازي روى عن اكثر من ثلاثمائة رجل توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ الاعلام (٥ : ٤٣) .

(٢) انظر تفسير الخازن (٢ : ٣٠٩) .

ثانيا :

ومما احتجوا به من السنة حديث ابى بن كعب[1] فى قصة الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام .

ونص الحديث كما رواه مسلم[2] ، قال : حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان ، عن ابيه ، عن رقبة بن مسقلة ، عن ابى اسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن ابى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لا رهق ابويه

---

(١) ابى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، روى عنه عمر بن الخطاب ، وانس بن مالك ، وابو موسى الاشعرى ، وابن عباس ، وابو هريرة شهد بدرا والعقبة الثانية ، وقال عمر بن الخطاب : سيد المسلمين ابى بن كعب مات سنة ١٩هـ وقيل سنة ٣٢هـ تهذيب التهذيب (١ : ١٨٧) .

(٢) مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، حافظ ، من ائمة الحديث ، رحل الى مصر والحجاز والشام والعراق ، وتتلمذ على الامام البخارى ، وحذا حذوه فى كتابه صحيح مسلم الذى جمع فيه اثنى عشر الف حديث ، وهو احد الصحيحين المعول عليهما فى الحديث . مات سنة ٢٦١هـ بنيسابور . تاريخ بغداد (١٣ : ١٠٠) .

طغيانا وكفــرا".[1]

وجه الاستدلال بهذا الحديث :

في هذا الحديث،اعلم الله تعالى الخضر عليه السلام امر هذا الغـــلام وامره ان يقتله حتى لا يحمل ابويه على الكفر والطغيان ،وقد اخبر الرسول عليـــه السلام في حديثه عن هذا الغلام ان الله فطره على الكفر والطغيان ، كمـــا فطر غيره على المعرفة والايمان .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ،للامام النووي (١٦ : ١٤١) ،ورواه الدارمـــي في كتاب السنة (١٦) .

والحديث رواه الامام احمد في المسند عن ابن عباس،قال " . . . فأخـــذ موسى عليه السلام بطرف ثوبه ـ الخضر ـ فقال : حدثني ،فقال : امـــا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر،وكان وراءهم ملك يأخذ كـــل سفينة غصبا ،فاذا مر عليها فرآها منخرقة،تركها ،ورقعها اهلها بقطعـــة خشبة فانتفعوا بها . واما الغلام فانه كان طبع يوم طبع كافرا ،وكان قـــد القى عليه محبة من ابويه ولو اطاعاه لارهقهما طغيانا وكفرا ،فأردنـــا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما ،ووقع ابوه على امه ،فعلقـــت فولدت منه خيرا منه زكاة،واقرب رحما ،واما الجدار فكان لغلامين يتيمـــين في المدينة . . .الخ الحديث

مسند الامام احمد بن حنبل ،المجلد الخامس (ص ١١٩) ،دار صـــادر للطباعة والنشر،ورواه مسلم في كتاب الفضائل والدارمي في السنة،والترمذي في تفسير سورة الكهف .

وقد ايد هذا الوجه فى الاستدلال بهذا الحديث اسحق بن راهويه ، قال : (وكان الظاهر ماقال موسى ، " اقتلت نفسا زكية بغير نفس "[١] فاعلم الله الخضر ماكان الغلام عليه من الفطرة التى فطره عليها ، وانه لا تبديل لخلق الله ، فأمر بقتله لانه كان قد طبع كافرا . وفى صحيح البخارى[٢] ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يقرأ هذه الاية " واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين ")[٣] .

مناقشة هذا الدليل :

ونحن نقول : ليس فى قصة الغلام مايشعر بانه مفطور على الكفر ، قال تعالى " واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما "[٤] .

---

(١) الكهف : ٧٤ .

(٢) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى ، حبر الاسلام ..... والحافظ للحديث صاحب الجامع الصحيح ، وهو اول من وضع كتابا على هذا النحو ، رحل فى طلب العلم وجمع الحديث من مختلف الامصار وسمع من نحو الف شيخ ، وروى انه قال : ماوضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت لله ركعتين ، وقد امضى فى تصنيف هذا الكتاب عشر سنين ، وتوفى سنة ٢٥٦ هـ . الاصابة (٢ : ٣٤٧) .

(٣) صحيح البخارى ، فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٠ : ٣٥) .

(٤) الكهف : ٨٠ ، ٨١ .

بل يجوز ان يكون كفره مكتسبا وليس فطريا ،فيحمل ابويه على الكفر، ويطغى عليهما ، وقد اخبر سبحانه وتعالى انه فطر عباده على الحنيفية، وان الشياطين اجتالتهم عنها ، فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب،انما فطرهم على الاقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده .

ثم ان قوله عليه السلام فى الحديث " طبع يوم طبع كافرا . . . " الحديث، ليس معناه ان كفره كان موجودا قبل ان يولد ،ولا فى حال ولادته ، وانما طبع يوم طبع،اى قدر وقضى فى الكتاب انه يكفر،اما حين ولادته فهو يولد على الفطرة السليمة،كما يولد الحيوان البهيم مفطورا على طبيعته،فاذا كان ممن قدر وقضى فى الكتاب انه يكفر، يقال له حينئذ طبع يوم طبع كافرا ،ولا يقال للمولود انه فطر على الكفر لعدم صحة الاستدلال على ذلك .

جاء فى صحيح مسلم عن عياض بن حمار،عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال : " خلقت عبادى حنفاء كلهم - وفى رواية حنفاء مسلمين - فاجتالتهم الشياطين ،وحرمت عليهم ما احللت لهم ، وامرتهم ان يشركوا بى مالم انزل به سلطانا " .[1]

وروى احمد وغيره عن الاسود بن سريع[1] قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم

(١) الاسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمى السعدى ،صحابى ،غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ،نزل البصرة ، وقص بها ، وروى عنه جماعة ، توفى ايام الجمل سنة ٣٦هـ ،وقيل مات سنة ٤٢هـ .
تهذيب التهذيب (١ : ٣٣٨) .

سـرية فافضى بهم القتل الى الذرية ،فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ماحملكم على قتل الذرية ؟ قالوا : يارسول الله اليسوا أولاد المشركين ؟ قال : " اوليس خياركم اولاد المشركين " ،ثم قام النبى عليه السلام خطيبا فقال : " الا ان كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه "[(١)] .

فهذا الحديث بما تضمنه من خطبة له عليه السلام ،عقيب نهيه المسلمين عن قتل الذرية ـ اولاد المشركين ـ نص صريح فى انهم ولدوا غير كفار ،وان الكفر ليس طبعا فيهم ،بل طرأ عليهم بعد ذلك .

واما مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يقرأ الاية بهذا الشكل " واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين " فلا يشهد بأن كفره فطرى ،او ان الله خلقه كافرا .

وبعد فكلما كان الدليل فيه وجه لا يشهد بصحة الدعوى ،فلا قيمة للاستدلال به .

---

(١) مسند الامام احمد ،المجلد الثالث (ص ٤٣٤) .

التعليق على هذا المذهب

لقد ارجأنا البحث عن تحقيق المراد من هذا المذهب الى ما بعد الاستدلال عليه، كي نستشف، ونستنبط مما جرى من الجدل والمناقشة فيه حقيقته والمعنى المراد به .

ولعلنا بعد عرض الادلة، والمناقشة نستطيع ان نقول : ان المراد من هذا المذهب : ان الله خلق الايمان فى فريق من خلقه، والكفر فى فريق آخر .

هذا المذهب بهذا المعنى باطل، لان الله تعالى يقول : " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون " (١).

ولانه اذا كان فريق من الناس مطبوعا على الايمان، وفريق مطبوعا على الكفر، فلا فائدة فى النبوة، ولا نتيجة لها، لان المؤمن بطبعه يكفى طبعه فى ايمانه، ولا حاجة به الى نبى، والكافر كافر بطبعه، فكيف يزيل النبى ما بالطبع ؟

فالظاهر والله اعلم ان المراد بهذا المذهب ان الناس فريقان : فريق خلقه الله مستعدا للايمان والطاعة، وفريق خلقه الله مستعدا للكفر والمعصية .

اما ان هذا المذهب بهذا التصوير باطل او غير باطل فله مقام آخر .

---

(١) النحل : ٧٨ .

مقارنة بين هذا المذهب والمذاهب السابقة :

اذا كان المراد بهذا المذهب ما توصلنا اليه فى التعليق السابق ، فما الفرق بينه وبين المذهب الاول والثانى ، والثالث ؟

اذا اخذنا المذهب الاول بظاهره ، فالفرق واضح . لان المذهب الاول يقول : كل انسان مطبوع على الاسلام ، وهذا المذهب يقول : ان الناس فريقان فريق فيه استعداد للايمان ، وفريق فيه استعداد للكفر ، فالفرق واضح .

واذا اخذنا المذهب الاول على التحقيق السابق ، وهو ان الانسان مفطور على العقيدة الاولى ، وهى الربوبية ، والخالقية ، فكذلك الفرق واضح بينه وبين هذا المذهب ، لان المذهب الرابع كما سبق يقول ان فريقا من الناس مستعد للايمان ، وفريقا مستعد للكفر . وفرق كبير بينهما .

اما الفرق بينه وبين المذهب الثانى ، فواضح ايضا ، لان المذهب الثانى فيه ان جميع الناس مفطورون على الاستعداد للمعرفة ، بخلاف المذهب الرابع لان فيه الناس فريقان : فريق مفطور على الاستعداد للايمان وللمعرفة ، وفريق مفطور على الاستعداد للكفر والجهالة .

اما المقارنة بين المذهب الرابع والثالث ، فلا فرق بينهما اصلا ، لان المذهب الثالث فى ظاهره هو عين المذهب الرابع فى ظاهره ، وكذلك الرابع عين الثالث عند التحقيق فى المراد منه .

فان قيل : اذا كان المذهب الرابع هو عين المذهب الثالث ، فيجب الاقتصار على المذهب الثالث ، ولا يكون هناك مذهب رابع ، او العكس ;

قلنا : نعم ، الامر كذلك ، يجب الاقتصار على احدهما ، ولا يمكن عدهما مذهبين اثنين ، بل مذهبا واحدا . . الا ان الباحثين في هذا الموضوع عدوا ثالثا ورابعا ، كما تفيد عباراتهم ، وهذا مذكور في كتبهم ، وقد بينت هذا في مقدمة هذا المذهب.(١)

اما وقد رأيت انه لا فرق بين المذهبين ، فعدهما ثالثا ، ورابعا خطأ واضح ، وقع فيه الباحثون في هذا المقام . والله اعلم

---

(١) انظر صفحة رقم (٨١)

المذهب الخامس :

اصحاب هذا المذهب،طائفة من اهل الفقه والنظر . واليه ذهب ابو عمر ابن عبد البر،وقال : انه اصح ماقيل فى تفسير الفطرة .

قالت هذه الطائفة : ان المراد بالفطرة السلامة خلقة وطبعا وبنية ليس معها كفر ولا ايمان ،ولا معرفة ولا انكار،ثم يعتقد الانسان الكفر او الايمان اذا ميز.

يريد اصحاب هذا المذهب ان يقولوا : ان الانسان يخلق صحيفة بيضاء ليس معها كفر ولا ايمان ،فاذا بلغ مبلغ الرجال ،وصار مميزا ،اختار الاسلام او الكفر، على حسب الدواعى والادلة التى يهتدى بها .

وهذا المذهب بظاهره يقرر ان الانسان يولد خاليا من الايمان والكفر. الا انه عبر عن هذا الخلو بالسلامة . والتعبير بالسلامة،وان صح بالقياس الى الكفر،فلا يصح بالنسبة الى الايمان ،لانه لا يقال للخالى من الايمان : انه سالم من الايمان ،ولو عبر بدلا من السلامة بالخالى ،لكان اصح واسلم .

هذا وان فى ظاهر عبارته مالا يتفق مع الواقع،فانه قال فى تفسير الفطرة (يولد على السلامة خلقة وطبعا وبنية ليس معها كفر ولا ايمان) . فان ظاهر العبارة،ان كل مولود يولد سليما فى خلقته ،وطبعه ، وبنيته .

وليس الامر كذلك ،فان كثيرا ممن خلق الله تعالى ،لم يخلقوا على السلامة خلقة ،وطبعا ،وبنية،لان الله خلق الاعمى ،والاعرج ،والاصم ،والابكم . . . . . الخ مما هو مشاهد ،فهذا الظاهر اذا باطل قطعا .

نعم يمكن ان يراد بسلامته فى الخلقة،والطبع،والبنية،انه خال من

العقائد مطلقا ، سواء كانت هذه العقائد ايمانا ومعرفة ، او كفرا ونكرانا . ولعل في قولهم : (ليس معها كفر ولا ايمان ، ولا معرفة ولا انكار) ما يشعر بأن المراد بالسلامة ، ليس السلامة في الخلقة والطبع والبنية ، بل المراد الخلو من العقائد مطلقا .

الاستدلال على هذا المذهب

استدلت هذه الطائفة بالسنة ، والمعقول .

اولا :

ومما استدلوا به من السنة ، قوله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث ابي هريرة رضي الله عنه " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " .

وجه الاستدلال :

ان كلمة " جمعاء " في الحديث الشريف تعني (سالمة) ، وكلمة " جدعاء " تعني (مقطوعة الاذن) ، فمثل عليه السلام قلوب بني آدم بالبهائم ، لانها تولد كاملة الخلقة لا يتبين فيها نقص ، ثم تقطع آذانها بعد وانوفها . وكذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ، ليس لهم حينئذ كفر ولا ايمان ، كالبهائم السالمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين ، فكفر من كفر وعصم الله من عصم .(١)

---

(١) انظر القرطبي (١٣ : ٢٧) .

مناقشة هذا الدليل :

نقول : ان السلامة التى اثبتها هذا المذهب للبهيمة حين ولادتها قد فسرها كما هو سياق كلامه بالصفحة البيضاء ، وهذا خطأ ، بل السلامة هذه تقابل فى الطفل خلقه على الفطرة الاسلامية بشهادة ان هذه السلامة لا تجتلب ، بل الذى يجتلب ، انما هو الجدع ، فكذلك الطفل ، بناء على هذا التشبيه يولد سالما من الكفر والافات ، وانما يطرأ عليه الكفر بعرض من الاعراض .

فهذا الدليل اذا ينتج ان الانسان يولد على الفطرة الاسلامية كما استدل به سابقا ، واما الاستدلال به على هذا المذهب فغير صحيح .

ثانيا : الاستدلال بالمعقول .

قالت هذه الطائفة : لو كان الاطفال قد فطروا على شىء من الكفر والايمان ، فى اولية امرهم ، ما انتقلوا عنه ابدا ، فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون .. وهكذا ، ويستحيل فى المعقول ان يكون الطفل حال ولادته يفعل كفرا او ايمانا ، لان الله اخرجه من بطن امه لا يعلم شيئا ، ومن كان كذلك استحال منه كفر او ايمان .

مناقشة هذا القول :

قولهم ان ما فطر عليه الانسان لا يتخلف ولا يتغير ، انما ينتج بطلان من يذهب الى ان الطفل يولد فطريا على الايمان او الكفر .

ويمكننا رد هذا بأن الفطرة قد تعالج بالمران ، فتكون الاعمال اعمال هذا المتمرن ، وهى غير فطرية ، نعم لو زالت هذه العوامل لرجعت الفطرة الى مسيرها

الاول ، وفى الحوادث العملية مايشهد بهذا ،فاننا نرى ان الدول الاستعمارية قد حاولت جاهدة خلق جيل معين من الامم التى منيت بها ،الى ان صارت تلك الامم تترك ماطبعت عليه من الحرية والكرامة ،الى قبولها الذل والهوان ، وقد عاش كثير من الامم على هذه الاخلاق ، التى فرضها الاستعمار مدة طويلة ، قد تصل فى بعض الاحيان الى قرن او اكثر ، وهذا يشهد ان الفطرة قد يمكن حجبها .

فالفطرة ليست امرا لازما ، فيصح ان يكون من فطر على الاسلام كافرا بعوامل اخرى ، ومن فطر على الكفر مسلما بعوامل اخرى . نعم ان زالت تلك العوامل سرعان مايعود الانسان الى فطرته .

يؤيد هذا ان الانسان قد يكون ذا بنية قوية فيأتى عليه عارض، فينقلب مريضا ، وكذلك المريض قد تأتى عليه عوامل ، وعلاج ينقله من حالة المرض الى حالة الصحة والعافية .

وعلى العموم فكلمة (الفطرة) ليست من المعانى اللازمة ، وسيأتى لنا فى التعقيب على هذه الآراء ، رأى خاص آخر .

واستدلالهم بأن الفطرة الاسلامية انما هى العلم بالشرائع ، ويقابلها الفطرة السيئة ، ومعناها الاتيان بالمكفر . . . يرد عليه بانه اذا كانت الفطرة بهذا المعنى كما شرح صاحب الدليل فالمولود يولد ليس به علم بالشرائع ولا كفر بها فهذا الدليل فى هذه الحدود سليم ، الا ان تفسير الفطرة فى كلا الطرفين بهذا المعنى فيه نظر سيأتى ان شاء الله فى التحقيق الاخير .

اعتراض ابن تيمية على هذا المذهب :

رغم ان ابن عبد البر اختار هذا المذهب وقال : (ان هذا هو اصح ماقيل في تفسير الفطرة، وهى ان الانسان يخلق صحيفة بيضاء ليس فيها كفر ولا ايمان) الا ان هذا المذهب لم يسلم من الاعتراض، فقد رد عليه الامام ابن تيمية بناء على احتمالين ابداهما فى تصويره له :

الاحتمال الاول : ان مراد هذا المذهب ان المولود يولد صحيفة بيضاء ليس معها كفر ولا ايمان، ولا ميل لاحدهما دون الاخر، بل الكفر والايمان بالنسبة اليها سواء .

وهذا المذهب بهذا الاحتمال باطل، لان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه . . . " الحديث ولم يقل عليه السلام : (او يسلمانه ويؤمنانه)، فلو كان هذا المذهب كما صورنا لكان قول النبى عليه السلام فيه تقصير، وكان الواجب ان يقول : (وانما ابواه يسلمانه او يهودانه او ينصرانه . . . الخ) .

فتركه عليه السلام (او يسلمانه) دليل على انه مسلم بفطرته، ولا يحتاج الى عمل واعتماد .

وايضا اذا كان الطفل يولد صحيفة بيضاء ليس فيه ايمان ولا كفر، بل هو بالنسبة اليهما سواء، كما هو هذا الاحتمال الذى نتحدث فيه، فلا يستحق مدحا ولا ذما، لان مايستوى اليه الامران : الايمان والكفر، لا يمدح بالايمان، ولا يذم بالكفر . لكن الله سبحانه وتعالى اثنى على الفطرة ضمنا فى الاية، وفى الحديث .

ففى قوله تعالى " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .. " . الاية

فقد الزم الله الانسان بهذا الدين ، وما يكون الشخص ملزما به من الله تعالى انما يكون امرا حميدا ، محل مدح وتقدير . واذا كان ما الزمه الله به امرا حميدا ، وقد كان هو الفطرة ، فالفطرة امر حميد يتعلق به المدح ، اذا فليس المولود يولد على الصفحة البيضاء ، لانه حينئذ ماكان يتعلق بها مدح ولا ذم .

ونحن نقول : كلام ابن تيمية هذا حق ، لكن كان يغنى عن هذا التطويل الذى قاله فى هذا المقام ان يقول : ان فى الاية الكريمة تصريح بأن الدين الذى امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وامته ، هو الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فهذا تصريح وجيز فى الرد على هذا المذهب .

ويكمل ابن تيمية الرد فيقول : واما الحديث " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" .

فانه شبه الطفل فى حال ولادته بالبهيمة التى تولد سليمة ، وانما يطرأ عليها الجدع ، فتكون مذمومة بهذا العمل .

اذا كان الامر كذلك ، وان الطفل يولد سليما كالبهيمة فى اول ولادتها الا تستحق هذه السلامة المدح كالمشبه به ؟ فان البهيمة اذا ولدت سليمة مدحت بانها سليمة ، فلو كان الطفل يولد صفحة بيضاء ما استحق مدحا فى صورة من الصور ، لكنه يستحق المدح فى حال فطرته . وقد تأيد ذلك بالاية .

الاحتمال الثانى : ان مراد هذا المذهب ، ان المولود يولد بحيث اذا

ترك وفطرته اختار الايمان ،لكنه بما عرض لفطرته من الفساد ،انتكست هذه الفطرة .

وحاصل هذا الاحتمال الذى اورده ابن تيمية : ان الانسان اذا ترك وشأنه بدون عوامل اخرى عارضة، لاختار الاسلام والايمان ، لكن اذا عرض له عارض تحول الى طريق آخر .

والفرق بين هذا الاحتمال والاحتمال الذى قبله : ان المولود فى هذا الاحتمال ، فيه استعداد ، وصلاحية لان يكون مؤمنا ، وهو بهذا الاستعداد اقرب الى الايمان ، اذا عدم المعارض، اما فى الاحتمال الاول ، فهو صحيفة بيضاء ليس فيه استعداد لاحد الامرين دون الاخر .

يقول ابن تيمية : (اذا فسرنا هذا المذهب بهذا الاحتمال - الثانى - ربما يقول اصحابه : ما اوردتموه على الاحتمال الاول لا يرد هنا ، فان صاحبه يقول : فى الفطرة قوة تميل بها الى المعرفة والايمان ، كما فى البدن السليم قوة يحب بها الاغذية النافعة ، وبهذا كانت محمودة وذم من افسدها)[1] .

وقد اجاب ابن تيمية على هذا الاحتمال ، بأن هذه القوة ان احتاجت فى حصول الايمان الى الادلة ، واسباب اخرى ، بحيث لو انعدمت هذه الاسباب لم يحصل الايمان ، كانت هذه القوة كعدمها ، لانها تتوقف على اسباب اخرى . وهذا هو الاحتمال الاول الذى ابطلناه . وان كانت هذه القوة تقتضى بذاتها الايمان ، فهذا هو مدعانا .

---

(١) انظر شفاء العليل (ص ٢٩٩) .

ونحن نقول : ان ابن تيمية لم يكن منصفا لهذا المذهب فى الاحتمال الاخير، لان هناك فرقا واضحا بين كون الولد ، يولد صفحة بيضاء، وهذا هو الاحتمال الاول ، وبين كونه يولد فيه قوة واستعداد للايمان ، بحيث اذا ظهرت له الادلة استجاب لها ، نظرا الى هذه القوة .

فحكم ابن تيمية بأن هذا الاحتمال لا فرق بينه وبين الاحتمال الاول حكم جائر، يشهد بهذا انك تجد فرقا واضحا بين ارض مهدت لان تزرع، بحيث لا يحتاج الامر فيها ، الا ان تبذر البذور، وارض اخرى مهملة لم يحصل فيها اى عمل او اعداد للانبات .

مقارنة المذهب الخامس بالمذاهب السابقة

هذا المذهب يقرر ان الانسان يولد خاليا من الاعتقادات مطلقا وبالمقابلة بينه وبين المذهب الاول ، نجد فرقا واضحا بينهما ، سواء اخذنا المذهب الاول بظاهره او بالتحقيق .

فانا اذا اخذنا المذهب الاول على ان الانسان مفطور على الاسلام وقواعده ، فالفرق واضح ، وكذلك اذا اخذناه بالتحقيق . لان المذهب الاول كما هو التحقيق ان الانسان مفطور على الايمان بالعقيدة الاولى ، بخلاف المذهب الخامس فليس فيه هذا .

وبالمقارنة بين المذهب الخامس والثانى ، فليس هناك منافاة ومقابلة بالنفى والاثبات ، لان المذهب الخامس يقرر ان الشخص فى فطرته صفحة بيضاء ليس فيها كفر ولا اسلام ، والمذهب الثانى يقرر ان الشخص فيه استعداد لان يبحث ويستنتج فتارة يصيب ، واخرى يخطىء ، وقد يهتدى ، وقد يضل ، وبهذا التحديد فلا منافاة بين المذهبين .

وكذلك لا فرق بين المذهب الخامس ، والمذهبين الثالث والرابع ، اللذين تبين بعد التحقيق انهما مذهب واحد ، فان الثالث والرابع مآلهما ان الناس فريقان : فريق مفطور على الايمان ، وفريق مفطور على الكفر وانواعه . والمذهب الخامس يقرر ان الانسان صفحة بيضاء ، ليس فيها اسلام ولا كفر ، ويتبين من هذا انه لا منافاة بالنفى والاثبات بين المذهبين وبين المذهب الخامس . والله اعلم .

اقوال اخرى فى الفطرة :

القول الاول : الفطرة هى الفقر والفاقة ،وهو قول ابى بكر الوراق[١] .

قال ابو بكر : هى الفقر والفاقة .

وقد حسن هذا القول المفسر القرطبى[٢] رحمه الله .

قال القرطبى : هذا حسن ،فانه منذ يولد المولود الى حين يموت ،فقير محتاج ،نعم وفى الاخرة[٣] .

القول الثانى : الفطرة مايقلب الله تعالى قلوب الخلق اليه ،بما يريدون .

وهذه اقوال ضعيفة جدا كما ترى ،بل انها اضعف ماقيل فى معنى الفطرة .

قال ابو عمر بن عبد البر : ان القول الثانى ،وان كان صحيحا فى الاصل فانه اضعف الاقاويل من جهة اللغة فى معنى الفطرة والله اعلم[٤] .

---

(١) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع ابو الحسن الوراق ،البغدادى ،صدوق ثقة ورع ،دعا له الامام احمد بالخير ،كان كثير الانفاق فى سبيل الله وهو من الصالحين العقلاء . مات سنة ٢٥٠ هـ .
تهذيب التهذيب (٦ : ٤٤٨) .

(٢) القرطبى : محمد بن احمد بن ابى بكر الانصارى الخزرجى الاندلسى القرطبى ،من كبار المفسرين من اهل قرطبة ،عرف بصلاحه ،وتقواه ،وتعبده رحل الى مصر واستقر فى شمال اسيوط . الاعلام (٦ : ٢١٧) .

(٣) الجامع لاحكام القرآن (١٣ : ٣٠) .

(٤) انظر كتاب العينى شرح صحيح البخارى ،احمد بن محمود العينى . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون ،للتهانوى (٥ : ١١٧ ، ١١٨) .

الفصل الثانى

الرأى المختار فى هذا الموضوع

(١) الانسان مفطور على معرفة الله ربا وخالقا .

(٢) الغواشى التى تختفى وراءها هذه المعرفة .

(٣) العوامل التى تجلى هذه المعرفة .

الرأى المختار فى الفطرة

مقدمـــة :

ان الله تعالى خلق الانسان مستعدا ، وفيه قوة - حينما يصل الى درجة البلوغ - الى ان يبحث ويستدل فى الشئون الدينية ، وهذا الاستعداد ، وهذه القوة مما لا يصح ان يرتاب فيه ، فان كل انسان يشعر اذا بلغ مبلغ الرجال ان فيه هـــذه القوة ، بل هذا هو ماميز به الله تعالى الانسان عن بقية الحيوانات .

يشهد لهذا الامر بالنظر فى الايات الكونية ، فى كثير من الايات القرآنيـــة قال تعالـــى :

" افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبـال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ؟ "(١).

" افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فـــروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكـــرى لكل عبد منيب "(٢).

" افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ... "(٣).

" فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا .. "(٤).

---

(١) الغاشية : ١٧ - ٢٠ .

(٢) ق : ٦ - ٨ .

(٣) يوسف : ١٠٩ ، الروم : ٩ ، فاطر : ٤٤ ، غافر : ٨٢ ، محمد : ١٠ .

(٤) عبس : ٢٤ ، ٢٥ .

" فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق " (١) .

فالامر بالنظر ، شاهد صدق على ان الانسان فى مكنته ، ومقدوره ان ينظر ويستنتج .

يقول الامام الشيخ محمد عبده : (فقد امر الكتاب بالنظر واستعمال العقل فيما بين ايدينا من ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ اليه من دقائقه ، تحصيلا لليقين بما هدانا اليه ، ونهانا عن التقليد بما حكى من احوال الامم فى الاخذ بما عليه آباؤهم . . . فالتقليد مضلة يعذر فيها الحيوان ، ولا يجمل بحال الانسان) (٢) .

فالانسان ، فطره الله تعالى ، وفى تكوينه هذه القوة المفكرة ، بل هذا ما اجمع عليه جميع الطوائف والملل حتى اولئك الملاحدة وامثالهم .

هذه القوة اصيلة عند كل انسان ، يجدها الانسان غير المتدين ، كما يجدها اعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم تعقلا . وستبقى اصيلة فى النفوس ، متطورة بتطور الانسانية ، متجاوبة مع درجة الثقافة التى يبلغها الانسان نفسه ، وستزداد فيه هذه القوة كلما ارتقى بفكره ، واتسعت ابحاثه ودراساته .

حتى ان الطفل الصغير فيه هذه النزعة الفكرية .

يقول العلامة الدكتور دراز : (فان كثيرا من الاطفال ذوى الفطر السليمة لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون فى تعليله عند حلقة من حلقات اسبابه

---

(١) الطارق : ٦،٥ .

(٢) رسالة التوحيد . الامام محمد عبده (ص ١٥) .

وغاياته القريبة، بل يصعدون دائما الى اسبابه الاولى ، ويسترسلون فى تعريف نتائجه الاخيرة ، فهذه صورة مصغرة من تلك النزعة الفكرية الانسانية ، التى هى ابدا فى حركة وتقدم يأبيان الوقوف والجمود ...)[١].

ولقد اخذ التفكير فى الموضوعات الدينية ، هل لهذا العالم رب وخالق ؟ مساحة كبيرة من التفكير البشرى ، لا فرق فى ذلك بين جنس وجنس حتى اشد الناس همجية واقربهم الى الحياة الحيوانية .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى اشدها همجية ، واقربها الى الحياة الحيوانية .. وان الاهتمام بالمعنى الالهى ، وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية)[٢].

هكذا كان اجماع الناس فى التفكير البشرى ، وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الدينية ، وهو اجماع ينادى به الواقع الملموس فى كل عصر وزمان .

هذه القوة ، هى قوة الفطرة الالهية فى الناس جميعا . وهذا مايقوله العلامة دراز فى هذا الموضوع .

يقول : (ماهذه اذا تلك القوة الغلابة ، التى لا تزيدها المقاومة الا عنفا واشتعالا ، والتى تقهر فى النهاية انصارها ، واعداءها على السواء ؟ اليست هى

---

(١) كتاب الدين . محمد عبدالله دراز (ص ٩٧) .
(٢) الدين (ص ٨٤) .

قوة الفطرة التى تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلل ثراها ، وسقى اصولها ؟ بلى وان هذا الربيع قد تكفى منه قطرة ، وربما تبلور فى نظرة ، فما هى الا طرفة من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات العزم . . . فاذا أنت تسبح بخيالك فى عالم الغيب . . .)[1] للوصول إلى الحقيقة العلوية الفطرية والتعرف عليها بوضوح .

هذا التفكير البشرى ، يتسع ويرقى ، وبحثنا الذى نكتب فيه ، لون من التفكير البشرى الرفيع ، فهل الانسان مفطور على الاسلام ؟ او على الكفر ؟ او على الاسلام والكفر ؟ اوغير ذلك . . . الى آخر ماذكرنا من المذاهب .

ونحن الان بسبيل الترجيح والاختيار ، فيما بحثه الباحثون ، وذهب اليه الذاهبون .

---

(١) الدين (ص ٩٧) .

الانسان مفطور على العقيدة الاسلامية الاولى

ذكرنا فيما مضى المذاهب فى الفطرة، واستعرضنا الادلة المواتية لكل مذهب والمتناقضات التى ترد عليه، وناقشنا ذلك كله، ونحن اذ ندلى برأينا فى هذا الموضوع نقول وبالله التوفيق :

بعد الاعتراف بأن الانسان خلق مستعدا لان يفكر، ويستنتج، سواء اكان استنتاجه هذا صوابا ام خطأ . نقول ان الانسان مع هذا الاستعداد الفطرى للنظر، والتفكير، والاستنتاج، قد فطره الله على الايمان برب خالق، فى حدود هذا المفهوم، دون ماوراءه من التفاصيل الدينية، التى جاء بها الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين .

هذا هو اختيارنا فى المعنى المراد بالفطرة، وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها، وكل مولود يولد عليها، والواقع يشهد بهذا، والشواهد والاسانيد تدل عليه .

الا ان هذه الفطرة الاجمالية، قد تختفى وراء غواش مختلفة، فتحجبها وتحول دون النور ان يصل اليها نطلق عليها : عوامل خفاء الفطرة . نذكرها فيما يلى . .

عوامل خفاء الفطرة :

ان تحقق التدين الاجمالي ، امر فطري مركوز في النفوس ، وان معرفة الرب تعالى ، والاقرار به ، فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا بين مسلم ويهودي ، ونصراني ... وملحد . الا ان هذه الفطرة قد تختفي وراء غواش طارئة نذكر منها :

اولا :

تلك الشبهات المختلفة ، والافكار الخبيثة ، التي يشيعها الملاحدة والاباحيون في مختلف العصور ، وفي كل مكان ، صدّاً عن سبيل الله ، وتحللا من الشرائع والاديان ، ومن القيم النبيلة ، ومكارم الاخلاق . ولا سيما تلك المذاهب الحديثة المعاصرة ، كالشيوعية ، والعلمانية ، والعقلانية ... الخ ، التي تسعى في اصرار عنيد الى هدم المثل العليا الفاضلة ، وتدعو اول ماتدعو الى نبذ الديانات والكفر برب العالمين .

يقول احد العلماء الغربيين (١) : يرجع انكار وجود الله في بعض الاحيان الى

---

(١) ولتر اوسكار لندبرج . عالم الفسيولوجيا ، والكيمياء الحيوية ، حاصل على دكتوراه الدولة من جامعة جونز هوبكنز . استاذ الفسيولوجيا الكيميائية بجامعة منيوسوتا واستاذ الكيمياء الحيوية الزراعية فيها . عميد معهد هورمل سنة ١٩٤٩م . وعضو ورئيس جمعيات عديدة لدراسة الطعام وتركيبه الغذائي ، وله كثير من البحوث العلمية .

عن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم (ص ٣٣) تأليف نخبة من العلماء =

ماتتبعه بعض الجماعات او المنظمات الالحادية، من سياسة معينة، ترمى الى شيوع الالحاد، ومحاربة الايمان بالله، بسبب تعارض هذه العقيدة مع صالح هذه الجماعات او مبادئها .

فتختفى الفطرة وراء تضليل هؤلاء، ودعايتهم الخبيثة .

سئل رائد الفضاء الروسى الاول، عن شعوره اثناء سيره فى الفضاء فأجاب (كنت انظر الى الكون، فرأيته مثل خميلة سوداء مرصعة بقطع ذهبية فاخذنى جمال المنظر، فبدأت ابحث عن الله)[1].

ولقد ازعج هذا التصريح الحزب الشيوعى، فاجبره ان يضيف فى اليوم الثانى مباشرة قوله (فلم اجده) ليصير المعنى : فبدأت ابحث عن الله فلم اجده .

ومامحاربة الاديان الا دليل على وجودها، واصالتها، ومافتح المدارس لتعليمهم الالحاد، ونبذ الدين الا دليل على وجوده واصالته، ولكن نفوسهم الشريرة تأبى الا ان تكابر وتعاند منسلخة من آيات الله " اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل "[2].

= الاوربيين، اشرف على تحريره جون كلوفر مونما، ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان، الطبعة الثالثة ـ القاهرة، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١م .

(١) نقلا عن محاضرة القاها الاستاذ محمد قطب لنا اثناء دراستى السنة التحضيرية فى مادة مذاهب فكرية معاصرة لعام ٩٧/ ٩٨هـ .

(٢) المائدة : ٦٠ .

ثانيا :

انصراف الانسان الى ملذاته ، وشهواته ، ولا سيما تلك التى حرمها الله تعالى ، وحث على تركها الرسل الكرام .

بل ان الانسان فى مشاغله المباحة الضرورية ينسى فى كثرتها وقسوتها ما استكن فى نفسه من الفطرة ، وخاصة اذا عاش فى بيئة فاسدة ، التى هى من اشد العوامل خطورة على الفطرة .

يقول الاستاذ الغزالى : (والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة ، فهى تمسخها وتشرد بها ، وتخلف فيها العلل ، مايجعلها تعاف العذب ، وتسيغ الفج وذاك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان والصلاح ، وقبولهم للكفر والشرك ، مع منافاة ذلك لمنطق العقل وضرورات الفكر واصل الخلقة) [1] .

وهكذا الاعمال القاسية ، كالبيئة الفاسدة من الحجب المانعة لظهور الفطرة .

ثالثا : التقليد والتعصب الاعمى للمذهب .

وفى التقليد ابطال شرف العقل ومكانته ، لانه انما خلق للتأمل والنظر ، وفيه ايضا حجر على المواهب ، واقفال لمنافذ المعرفة .

(ان الجمود على التقليد من ابشع صور الجبن ، وان هذا الضرب من الجبن هو الذى افسد الفطرة ، فشل عملها فى ادراك الحق ، وطلبه ، حتى اصبحت

---

(١) عقيدة المسلم . الشيخ محمد الغزالى (ص ١٧) .

كجهاز الهاتف المختل لا يصلح للتخاطب)(١) .

ولذلك عاب الله المقلدين فقال " بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون "(٢) .

ثم اتبع الله تعالى الرد عليهم بقوله : " قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما ارسلتم به كافرون "(٣) . تعصبا لما وجدوا عليه آباءهم .

هذا فى العصر الاول ، ولنستمع الى مايقوله العالم الاوربى وولتر اوسكار لندبرج عن اهل هذا الزمان .

يقول : (وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف - من المنظمات الالحادية فليس من السهل ان تتحرر من التعصب والاهواء)(٤) .

وفى السيرة الشريفة امثلة كثيرة على تعصب قريش وغيرها لدين الكفر ، حتى ان عم الرسول عليه السلام ابا طالب سار على نفس الطريق الذى وجد فيه آباءه واجداده . وكان من اكثر الناس حرصا على محمد صلى الله عليه وسلم وحماية له .

---

(١) مشكلات الجيل فى ضوء الاسلام . محمد المجذوب (ص ٢٢) ، الطبعة الثانية - دار الاعتصام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

(٢) الزخرف : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) الزخرف : ٢٤ .

(٤) من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم (ص ٣٢) .

رابعا :

المبالغة فى تعظيم بعض المخلوقات، وتقديسها، الى حد العبادة .

فهذا التقديس والتعبد يخفى فى الانسان مافطر عليه من عقيدة الخالقية والربوبية وتقديسها وعبادتها .

وقد يبرر هذا بأن المحسوس اقرب الى النفس من الاشياء الذهنية .

يقول ابن الجوزى[1]: (والذى حملهم على ذلك ـ الاشراك ـ شيئان : احدهما جهلهم بالخالق، والثانى : انهم ارادوا مايسكن اليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم)[2].

ويقول دراز : (ومن الممكن ان نقول ان لدى الارادة بعامة ميلا الى متابعة الخير المحسوس العاجل، اكثر من الخير الروحى او الاجل، ذلك انها قد تشعر بالكثير من الصعوبة فى ان تتبع اوامر العقل اكثر مما تجده فى السير وراء الميول الفطرية)[3].

وبالجملة فاشتغال النفس، وحصرها فى فكرة خاصة، ولا سيما اذا كانت فكرة من الضلالات الشائعة، يخفى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

---

(١) ابن الجوزى : ابو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن الجوزى، احد كبار العلماء، جمع نحوا من ثلاثمائة مصنف، عالم بالتفسير، والحديث والتاريخ والحساب، والنجوم، والطب، والفقه اثنى عليه كثير من العلماء كابن تيمية والحافظ الذهبى، وابن خلكان، توفى سنة ٥٩٧ هـ ببغداد ودفن بالقرب من مدفن احمد بن حنبل .

(٢) تلبيس ابليس (ص ٩٦) .

(٣) دستور الاخلاق فى القرآن (ص ١٩٨) .

تلك هى العوامل التى تختفى وراءها الفطرة ،والتى لو انقشعت لظهرت الفطرة واضحة جلية ولرجع الانسان بفطرته الى ربه .

غير ان فى الكون والانسان ما يوقظ هذه الفطرة مما علق بها ، فكما ان للفطرة غواش تحجبها ،كذلك لها بواعث تظهرها نطلق عليها عوامل جلاء الفطرة .

عوامل جلاء الفطرة :

(١) العامل الاول : النظر فى هذا الكون نظرة شاملة، تتناول سماءه وارضه وكواكبه وافلاكه، وانسانه، وحيوانه، ونباته، وجماده ... وكل مايواكب ذلك من تغيرات، كالحركة والسكون، والليل والنهار ... الخ

(٢) العامل الثانى : التفات الانسان، وايمانه بعجزه .

العامل الاول ونلخصه اجمالا فى ان النظر الى هذا الكون، ومافيه من ابداع ونظام دقيق، يشهده اجمالا جميع الناس، لا فرق بين عالمهم وجاهلهم ويشهده تفصيلا اولئك الذين تخصصوا فى كثير من العلوم الكونية، كعلم الطب، وعلم الفلك، وعلم طبقات الارض، ولا سيما علم الفضاء .

فقد اكتشف هؤلاء من اسرار الكون، وآياته ماخفى على جماهير الناس وصدق الله " سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد "(١) .

فان هذه النظرات فى الافاق والانفس، تشهد بما لهذا الكون من رب وصانع ومن هنا كان هذا العامل منبها للفطرة، حيث ينتهى هذا النظر الى النتيجة التى فطر الناس عليها، واكثر منها من بقية العقائد .

ونتكلم فى العامل الاول بشىء من التفصيل فنقول :

ان الحس المجرد بواسطة العين، وماتراه من سماء مرفوعة بغير عمد، امتلأت

---

(١) فصلت : ٥٣ .

بالكواكب والنجوم ،كل منها يتحرك فى مدار لا يخطىء " لا الشمس ينبغى لهـا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون "[١].

وارض مبسوطة فيها البحار والانهار، والجبال والوديان ، والسهول ، وفى بطنها الوان من المعادن كثيرة " وفى الارض آيات للموقنين "[٢] ، كل ذلك يكفى الناظر، الى الالتفات الى موجد ذلك ومبدعه .

يقول ابن تيمية : (فالايات المخلوقة والمتلوة ، فيها تبصرة، وفيها تذكرة تبصرة من العمى ، وتذكرة من الغفلة، فيبصر من لم يكن عرف فيعرف، ويذكر من عرف ونسى)[٣] .

وفى عجائب الكون آيات وآلاء ، واسرار وحكم ، ادهشت الباحثين . . حتى هذا البدوى الذى استجاب لنظرة الى السماء والارض، وما احسن قوله : ان البعرة تدل على البعير، واثر الاقدام يدل على المسير، فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلى بهذه الكثافة، اما يدلان على اللطيف الخبير .

يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى : ان هذا الكون ملىء بالاسرار، طىء بالعجائب، وان جماله ليبهر الالباب، ويثير الدهشة والاستغراب[٤] .

ويقول الاستاذ دراز : فما ظنك بقصر السماء سقفه ، والارض قراره ، والجبال

---

(١) يس : ٤٠ .

(٢) الذاريات : ٢٠ .

(٣) كتاب الايمان ، لابن تيمية (ص ٢٠٠) ، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس دار الطباعة المحمدية .

(٤) النبوة والانبياء فى ضوء القرآن (ص ١٣٧) .

اوتاده ، والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحه . . . اولا يكون احمق بلفت النظر الى بارئ مصور حى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى .[(١)] افلا يكون هذا اكبر شاهد على صدق الفطرة ، وان لهذا الكون صانعا ، فالتقى النظر والفطرة ، فتضافرت الفطرة والنظر الى هدف واحد وهو ان لهذا العالم صانعا مدبرا ، فكان النظر مجليا للفطرة ، حيث ينتهى النظر الى مافطر الناس عليه .

ولنستمع الى ماقاله علماء الغرب المتخصصون فى هذا الموضوع :

يقول أ . كريسى موريسون[(٢)] : (لو ان حجم الكرة الارضية ، كان اكبر مما هو عليه ، او اصغر ، ولو ان سرعتها كانت مختلفة مما هى عليه ، لكانت ابعد او اقرب من الشمس مما هى عليه ، ولكانت هذه الحالة ذات اثر هائل فى الحياة ، من كل نوع ، بما فيها حياة الانسان ، ولما امكن وجود الحياة فوقها)[(٣)] .

ويقول فرانك الن[(٤)] : (ان البروتينات من المركبات الاساسية فى جميع الخلايا

---

(١) الدين (ص ١٢٢) .

(٢) رئيس المعهد الامريكى لمدينة نيويورك ، ورئيس اكاديمية العلوم فيها .

(٣) انظر كتاب : العلم يدعو الى الايمان (ص ٥٣) ترجمة محمد صالح فلكى تصدير احمد حسن الباقورى ، تقديم احمد زكى ، الطبعة السادسة ، القاهرة نيويورك مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧١م .
وانظر الظلال ، سيد قطب ، المجلد الثالث (٧ : ٢٥٥ - ٢٥٨) .

(٤) الن فرانك ، عالم الطبيعة البيولوجية ، ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنك استاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتو بكندا ، اخصائى فى ابصار الالوان والبصريات الفسيولوجية ، وانتاج الهواء السائل ، حائز على وسام تورى الذهبى للجمعية الملكية بكندا .

الحية ، وهى تتكون من خمسة عناصر : الكربون ، والايدروجين ، والنيتروجين والاكسجين ، والكبريت ، ويبلغ عدد الذرات فى الجزئ البروتينى الواحد (٤٠،٠٠٠) ذرة . اما الذرة فهى مؤلفة من جزيئات كهربائية ، سالبة وموجبة ، والموجبة يطلق عليها اسم (البروتون) ، والسالبة يطلق عليها اسم (الالكترون) ، وبعض الذرات فيها زيادة على ذلك شحنة معتدلة تسمى (نيترون) ، والبروتون والنيترون يشكلان نواة الذرة بينما الالكترون يشكل كواكبها السيارة التى تدور حولها بسرعة هائلة وبحركة اهليجية)[١] .

يكفى هذا من علماء اجانب خصصوا معظم وقتهم للاطلاع والبحث ، وصدق الله " أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، واغطش ليلها واخرج ضحها ، والارض بعد ذلك دحاها ، اخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم "[٢] .

اما الانسان ففى خلقه اتقان واحكام واضح ، وهو اقرب ، واظهر من بقية المخلوقات ، ومن ثم صيغ الامر بالنظر فى الاية فى صورة الاستفهام الذى يشعر باللوم والتقصير . قال تعالى " وفى انفسكم افلا تبصرون "[٣] .

فقوام الانسان جميل ورشيق ، قال تعالى " لقد خلقنا الانسان فى احسن

---

(١) عن كتاب الله يتجلى فى عصر العلم (ص ١٢) .
وانظر ايضا كتاب الجسر : قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن نديم الجسر ، الطبعة الثالثة - بيروت . المكتب الاسلامى لبنان ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٢) النازعات : ٢٧ - ٣٣ .

(٣) الذاريات : ٢٠ .

تقويم"[١] . يعمر الارض ليعيش فيها الى الاجل المحتوم " هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها"[٢] يمشي ويقعد ، يتحرك ويسكن ، خلق فيه القدمين ، والساقين والفخذين ، ثم الجذع ، وعلى جانبيه الذراعان ، ثم العنق ثم الرأس . ومنحه الله من الحواس الظاهرة والباطنة ماهو في امس الحاجة اليه " الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين"[٣] . وقال " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون"[٤] .

فكل مفكر يدرك في الانسان وخلقه اتقانا ظاهرا ، واحكاما بينا ، ويدرك تمام الادراك ان وراء هذا الاتقان الظاهر ، اسرار من الحكم ، ومن ثم كان النظر في الانفس عاملا ينبه الفطرة ، حيث انه يسوق الى ماتنطق به وهو الرب تعالى .

قال الاشعري[٥] رحمه الله : (الانسان اذا فكر في خلقته من اى شيء ابتدأ ، وكيف دار في اطوار الخلقة ، طورا بعد طور ، حتى وصل الى كمال الخلقة

---

(١) التين : ٤ .

(٢) هود : ٦١ .

(٣) البلد : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٤) النحل : ٧٨ .

(٥) ابو الحسن الاشعري : علي بن اسماعيل بن اسحق ، ابو الحسن من نسل الصحابي الجليل ابي موسى الاشعري . وهو مؤسس مذهب الاشاعرة ، كان من الائمة المتكلمين المجتهدين ، ولد في البصرة ، حمل لواء المذهب المعتزلي ، ثم رجع وجاهر بخلافه ، بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب اشهرها (مقالات الاسلاميين) توفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ . انظر تاريخ المذاهب الاسلامية ، ابو زهرة (١ : ١٨٠) ، دار الفكر العربي .

وعرف يقينا انه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ، ويبلغه من درجة الى درجة ، ويرقيه من نقص الى كمال ، عرف بالضرورة ان له صانعا ...)[١] .

ويقول الامام ابن الجوزى : (من اكبر الادلة على وجود الخالق ان هذه النفس الناطقة المميزة ، المحركة للبدن ، على مقتضى اراداتها ، والتى دبرت مصالحها وترقت الى معرفة الافلاك ، واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم ، وشاهدت الصانع فى المصنوع ، فلم يحجبها ستر وان تكاثف ، ولا يعرف مع هذا ماهيتها ، ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها ... ، ولا يفهم من اين جاءت ، ولا يدرى اين تذهب ، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد ، وهذا كله يوجب عليها ان لها مدبرا ، وخالقا ، تعرفه وكفى بذلك دليلا عليه)[٢] .

ونحن لا نستطيع ان نكتب الكثير عن الانسان ، والعلم مازال عاجزا عن معرفة كنه الانسان ، فهناك علم الشكل الخارجى ، وعلم التشريح ، وعلم الوراثة ، وعلم الاجنة وعلم الانسجة ... وعلوم كثيرة تقف مبهورة امام آيات الله فى الانسان ، وكلما ازداد الانسان علما كلما ظهر جهله[٣] .

يقول ابن تيمية فى تفسير قوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق"[٤]

---

(١) الملل والنحل ، للشهرستانى (١ : ١١٩) .

(٢) صيد الخاطر ، ابن الجوزى (ص ٢٢٧) ، الطبعة الثانية ، دار الفكر بدمشق ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

(٣) انظر كتاب الانسان ذلك المجهول . تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق اسعد فريد . بيروت ١٩٧٤م . وانظر كتاب الطب محراب الايمان لخالص جلبى ، ففيه مايكفى الباحث معرفة بالانسان .

(٤) العلق : ١ .

وقوله " اقرأ وربك الاكرم"[١] .

(ذكر فى الموضعين بالاضافة التى توجب التعريف ، وانه معروف عند المخاطبين ، اذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق وان المخلوق مع انه دليل ، وانه يدل على الخالق ، لكن هو معروف فى الفطرة قبل هذا الاستدلال ، ومعرفته فطرية مفروزة فى الفطرة ضرورية بديهية اولية)[٢] .

فالنظر فى الكون والانسان على السواء عامل من عوامل تجلية الفطرة اذ النظر فيهما يؤدى قطعا الى ماتنطق به الفطرة البشرية من معرفة الحقيقة العليا وهو الرب تعالى .

اما العامل الثانى : وهو التفات الانسان وايمانه بعجزه . هذا العامل فى اجماله - حيث تبين فيه عجز الانسان - يشهد قطعا بأن وراء كل ماعجز عنه الانسان ربا ومدبرا قادرا ، وهذا ماتنطق به الفطرة ، ونتكلم عن هذا العامل تفصيلا فنقول :

العجز ظاهرة بشرية ، لا يملك الانسان الاان يقف امامها مبهورا . فهو عاجز عن معرفة حقيقة الاشياء ، وبخاصة ماله صلة بالغيب ، كما هو عاجز عن ان يحقق لنفسه الخلود فى هذه الحياة .

ان العجز يرافق الانسان منذ ولادته الى حين موته ، فهو يحس بالعجز

---

(١) العلق : ٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ، المجلد العاشر (ص ٣٢٤) .

ازاء الكيان الكونى كله ، ولا ينقطع العجز طيلة مدة حياته ، فهو عاجز وهو طفل وهو عاجز وهو شاب ، وكلما كبر ، كبر معه العجز ، واتسعت جوانبه .

حقا ان الانسان حقق الكثير ، وعرف الكثير ، وسيطر على الكثير من الاشياء ولكن هذا لا ينفى عنه الشعور بالعجز ، اذ ان ماحققه لا يساوى شيئا من آماله وطموحاته . ذلك انها اكبر بكثير مما حققه وانجزه .

واشد مايقف الانسان اماه عاجزا محتارا ، هو الرغبة فى معرفة كنه الغيب الذى لم يحدث بعد . فهو لم يستطع ان يصل الى معرفته ، ولا الى معرفة مايحصل له غدا ، او بعد لحظات .

ولقد ادى هذا العجز فى تاريخ البشرية الى كثير من الوان العبادة المهتدية او الضالة ، فمن الناس من عبد الاب ، ومنهم من عبد سيد القبيلة ، ومنهم من عبد قوى الطبيعة . . . الى آخر هذه المعبودات الباطلة ، ومنهم من قاده العجز الى ان يعبد الله وحده .

ان عجز الانسان هذا ليظهر بوضوح امام قصة الموت ، حين تنفذ الاسباب امام القوة القادرة ، وان النفس البشرية لا تملك امام هذا العجز الا ان تتجه الى ربها بفطرتها المستكنة فى اعماقها .

فالعجز عن دوام الحياة ، وعن الخلود فى الارض ، نافذة تقود الى الله الى القدرة القادرة التى تخلق ، وتمنح الحياة ، واخيرا تأخذها ، وتردها الى العدم .

فالتفات الانسان ، وعجزه يقود فى النهاية الى ماهو مركوز فى النفوس الى

ماتنادى به الفطرة من رب قادر . فلا يملك الانسان الا ان يستجيب لفطرته في معرفة ربه فيتوجه اليه .(١)

تلك هي العوامل التي تجلى فطرة الانسان . وبعد ان علمت عوامل خفاء الفطرة ،وجلائها ،نسوق الادلة واضحة على رسوخ هذه الفطرة في اعماق النفوس البشرية .

فقد يقول قائل : ليس ... ـراء الغواشي التي ذكرتها فطرة بالعقيدة ةالا ولى كما تدعى .

من اجل هذا نسوق في الفصل القادم الادلة والشواهد على وجود هذه الفطرة في اعماق الانسان ،المسلم والكافر على السواء .

---

(١) بتصرف عن كتاب " دراسات في النفس الانسانية" ،محمد قطب (ص ٢٢٠ - ٢٢٤) .

الفصل الثالث

اولا :

(١) الشواهد على هذه الفطرة .

الشاهد الاول : سير الانسان فى البر والبحر والجو .

الشاهد الثانى : موت فرعون .

الشاهد الثالث: نزول الضر بالانسان .

الشاهد الرابع : اشتداد الحاجة به .

الشاهد الخامس : اقرار الانسان حين يسأل عن الخالق .

الشاهد السادس: اعتراف الانسان بأن عبادة الاصنام زلفى الى الله .

(٢) الى اى مدى التزم الانسان بفطرته ؟

ثانيا :

مقارنة بين الرأى المختار والمذاهب السابقة

الشواهد على هذه الفطرة

(١) الشاهد الاول :

قوله تعالى " هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين"(١) .

هذه الاية الكريمة تشهد بوضوح ان الانسان مليّا كان اوغير ملِّى ،بل قد يكون ملحدا كما نشاهد فى عصرنا هذا ،ذلك الانسان نفسه الذى ابعدته عن فطرته تلك الحملات الالحادية ،والدعايات الاباحية،والشهوات الحيوانية،اذا المت به مصيبة،واحاطت به كارثة،ثم تقطعت به الاسباب،فلا نصير ولا معين ،فى هذا اليأس القاتل تظهر فيه الفطرة،وتتجلى ،فيهرع الى مولاه ،يستجد يه الخلاص من هذا البلاء العظيم .

فى هذا المشهد المريع،استحكمت حلقات الموت تطبق على اصحاب الفلك من كل مكان ،ريح عاصفة تضطرب لها الفلك، ومن فوقها تسمع دقات قلوب القوم وريح عاتية تلعب بهم . . فأين المفر ؟

فى هذا الجو البائس،يهرع الانسان ، الى مولاه ،يسأله النجاة،بل يدعوه

---

(١) يونس : ٢٢ .

مخلصا له الدين " دعوا الله مخلصين له الدين" . وماذلك الا الفطرة الالهية المستكنة فى النفوس البشرية .

يقول البيضاوى فى تفسير هذه الاية :

فقوله تعالى " هو الذى يسيركم" اى يحملكم على السير ، ويمكنكم منه " حتى اذا كنتم فى الفلك " السفن ، " وجرين بهم" اى بمن فيها ، " بريح طيبة" اى لينة الهبوب ، " وفرحوا بها" اى بتلك الريح ، " جاءتها" جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة ، بمعنى تلقتها ، " ريح عاصف" ذات عصف شديد الهبوب " وجاءهم الموج من كل مكان " يجىء الموج منه ، " وظنوا انهم احيط بهم" اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو " دعوا الله مخلصين له الدين " اى من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض.(١)

قال الشهاب : اى لرجوعهم الى الفطرة التى جبل عليها كل احد من

---

(١) ان اسناد التراجع الى الفطرة ، اسناد مجازى ، والاسناد انما هو حقيقة لصاحب الفطرة . والمعنى انهم لما عصفت الريح بالفلك ، واحاط بهم الموت من كل مكان ، رجع اهل السفينة عن غيهم ولهوهم لما اصابهم من المصائب التى كادت تودى بحياتهم ، فالرجوع انما هو لاصحاب الفطرة لا للفطرة ، فاسناده الى الفطرة مجازى ، وعبر عن الرجوع بالتراجع لانهم لم يرجعوا طواعية واختيارا ، بل تراجعوا امام ضغط الكوارث التى جعلتهم على حافة الموت ، وهذا تعبير شائع ، كما يقال : تراجع الجيش امام خصمه يعنى رجع مضطرا ، فكذلك الانسان اذا المت به المصائب رجع عن غيه مضطرا فكان التعبير المناسب ان يقول تراجع .

التوحيد وانه لا متصرف الا الله المركوز فى طبائع العالم[١].

قال ابن عباس فى المراد من الاخلاص فى قوله : " دعوا الله مخلصين له الدين " : (يريد تركوا الشرك، ولم يشركوا به من آلهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية والوحدانية)[٢].

وذهب الى هذا ايضا المفسر الالوسى قال : (اى دعوه تعالى من غير اشراك لرجوعهم من شدة الخوف الى الفطرة التى جبل عليها كل احد من التوحيد وانه لا متصرف الا الله سبحانه المركوز فى طبائع العالم)[٣].

ثم حكى الالوسى قول سعد بن ابى وقاص[٤] من حديث اخرجه ابو داود

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى، المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى (٥ : ١٨) دار صادر بيروت .

(٢) انظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازى (١٧ : ٧٠)، الطبعة الاولى المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧ هـ .

(٣) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للالوسى البغدادى (١١ : ٩٧)، دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

(٤) سعد بن ابى وقاص : سعد بن مالك بن اهيب بن عبد مناف .... بن ابى وقاص، احد العشرة وآخرهم موتا، روى عن النبى عليه السلام كثيرا وهو احد الستة اهل الشورى، كان رأس من فتح العراق، وولى الكوفة لعمر كان مجاب الدعوة مات سنة ٥١ هـ . الاصابة (٢ : ٣٣) .

والنسائي وغيرهما قال : لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن ابى جهل (١) فركب البحر ، فاصابتهم عاصفة فقال اصحاب السفينة لاهل السفينة : اخلصوا فان الهتكم لا تغنى عنكم شيئا ، فقال عكرمة : لئن لم ينجني فى البحر الا الاخلاص ما ينجيني فى البر غيره ، اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتنى مما انا فيه ان آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا كريما .

قال سعد : فجاء فأسلم .

وفى رواية ابن سعد عن ابى مليكة ان عكرمة لما ركب السفينة واخذتهم الريح ، فجعلوا يدعون الله تعالى ويوحدونه فقال : ماهذا ؟ قالوا : هذا مكان لا ينفع فيه الا الله تعالى ، قال : فهذا لهو محمد الذى يدعونا اليه فارجعوا بنا فرجع واسلم .

فى هذه القصة ، ادلهمت المصائب باصحاب السفينة ، واطبق عليهم الموت من كل جانب ، وصدق الله العظيم " وظنوا انهم احيط بهم " فلا فرار من الهلاك ، هناك اتضحت الفطرة وتجلت .

فى هذا المشهد نرى عكرمة بن ابى جهل ، وقد كان عريقا فى كفره ، وعناده

---

(١) عمرو بن هشام المخزومى القرشي ، من صناديد قريش فى الجاهلية والاسلام كان هو وابوه من اشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم - اسلم عكرمة بعد فتح مكة وحسن اسلامه ، فشهد الوقائع ، وولى الاعمال لابى بكر واستشهد فى اليرموك . توفى سنة ١٣ هـ .
الاعلام (٥ : ٤٤) .

هذا العنيد ، هزته الكوارث ، ورأى الموت بعينيه ، فتجلت فطرته الاصيلة ، فطرة الربوبية ، ربوبية الله تعالى له ولاصحاب السفينة ولسائر المخلوقات فقال اذ ذاك :

(لئن لم ينجنى فى البحر الا الاخلاص - لك يارب - ماينجينى فى البر غيره ، اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتنى مما انا فيه ان آتى محمدا - صلى الله عليه وسلم - حتى اضع يدى فى يده ، فلاجدنه عفوا كريما) .

عجيب ذلك الانسان الذى يرى اهوال البحر ، ووحشة البر ، وهول السماء ولا يذكر الله الا وقت الشدة ، ولا يرجع الى فطرته الا فى ساعة العسرة ، هناك تتعرى فطرته مما الم بها او شاب ، وتنفض قلوبهم ماران عليها من تصورات وتنبض الفطرة الاصيلة وتتجلى ، وتنطق بالربوبية ، واخلاص الدين لله دون سواه . ونظير ذلك قوله تعالى " واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور "[1].

يقول البيضاوى : دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد[2].

ويحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق[3] رضى الله عنه : اذكر لى دليلا على

---

(١) لقمان : ٣٢ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى (٧ : ١٤٤) .

(٣) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى العلوى الصادق ، ثقة صدوق ، حافظ ، كان يتبرأ ممن تبرأ من ابى بكر وعمر ، وكان يرجو شفاعة ابى بكر كما يرجو شفاعة على قال مالك عنه : اختلفت اليه زمانا فما =

اثبات الصانع ؟ فقال : اخبرني عن حرفتك ؟ فقال : انا رجل اتجر في البحر . فقال جعفر : صف لي كيفية حالك ؟ فقال : ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح واحد من الواحها ، وجاءت الرياح العاصفة ، فقال جعفر : هل وجدت في قلبك تضرعا ودعاء ؟ فقال : نعم . فقال جعفر : فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت (١) .

حقا ، ان الانسان في مثل هذه الحالة ، لا يطمع الا في فضل الله ، ورحمته ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ، ويتجه بقلبه وروحه متضرعا الى الله ، الذي هو معروف بفطرته ، ولولا ان عوامل متعددة ابعدته عن هذا ، وصدق الله " قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين " (٢) .

(٢) الشاهد الثاني :

وهذا فرعون العنيد يعلن على رؤوس الاشهاد ماكان ينكره وهو يجلس على

= كنت اراه الا على ثلاث خصال : اما مصل ، واما صائم ، واما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث الا على طهارة . مات سنة ٤٨ هـ .
تهذيب التهذيب (٢ : ١٠٣) .

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (١٧ : ٦٧) ، وانظر ايضا كتاب : الله في العقيدة الاسلامية للشهيد حسن البنا (ص ٢٣) الطبعة الثانية .

(٢) الانعام : ٦٣ .

كرسى ملكه " يا ايها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى"[١] . انه رجع الى فطرته واعترف بربه ورب بنى اسرائيل ايضا " حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين"[٢] .

يقول الالوسى[٣] رحمه الله : فما زالت تلك الخميرة معه تعمل فى باطنه مع الترجى الالهى الواجب فيه وقوع المترجى ، ويتقوى حكمها الى حين انقطاع يأسه من اتباعه وحال الغرق بينه وبين اطماعه ، لجأ الى ماكان مستترا فى باطنه - وهو ماكان يجحده من قبل - ليحقق عند المؤمنين ، وقوع الرجاء الالهى فقال " آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين" .

وقوله " وانا من المسلمين " خطاب منه للحق تعالى لعلمه انه سبحانه يسمعه ويراه ، فخاطبه الحق بلسان الغيب وسمعه " آلآن " اظهرت ماقد كنت تعلمه ، " وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين "[٤] لاتباعك . . . .[٥]

وصدق الله العظيم " واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه . . ."[٦]

---

(١) القصص : ٣٨ .

(٢) يونس : ٩٠ .

(٣) محمود الالوسى : مفسر ، ومحدث ، واديب ، من المجددين من اهل بغداد وهو سلفى الاعتقاد ، من كتبه : روح المعانى ، وغرائب الاغتراب ، ومقامات فى التصوف ، مات سنة ١٢٧٠ هـ . الاعلام (٨ : ٥٣) .

(٤) يونس : ٩١ .

(٥) روح المعانى للالوسى (١١ : ١٨٥) .

(٦) الاسراء : ٦٧ .

(٣) الشاهد الثالث :

ويشهد لهذه الفطرة ايضا ،ان الانسان الذى ابعدته عن فطرته شياطين الانس والجن ،ذلك الانسان نفسه اذا أصابه الضر وانقطع رجاؤه ، رجع الى الله وذلك ماتنطق به فطرته . ولنقرأ قول الله تعالى فى هذه الايات :

قال تعالى " واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ،ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون "(١) .

" واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ماكان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيل الله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار "(٢) .

" فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هى فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون "(٣) .

" واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون "(٤) .

هكذا شأن الانسان اذا مسه الضر ،يهرع الى مولاه ، يكشف عنه مامسه من ضر ،وصدق الله " وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو "(٥) .

---

(١) الروم : ٣٣ .

(٢) الزمر : ٨ .

(٣) الزمر : ٤٩ .

(٤) يونس : ١٢ .

(٥) الانعام : ١٧ ، يونس : ١٠٧ .

والذى الجأه الى دعوة الخلاص من الضر، انما هو فطرته التى ذكره بها ما الم به من المرض، وما احاط به من مكروه .

نقول هذا لان الايات الكريمة وردت فى الناس مطلقا مؤمنين وكافرين ، وفى الانسان مطلقا مؤمنا وكافرا .

يقول الرازى فى تفسير آية الزمر : اعلم ان هذه حكاية طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة ، وذلك لانهم عند الوقوع فى الضر الذى هو الفقر والمرض يفزعون الى الله تعالى ، ويرون ان دفع ذلك لا يكون الا منه ...(١)

ويقول فى تفسير آية الروم : لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل ، بين ان لهم حالة يعرفون بها ، وان كانوا ينكرونها فى وقت ، وهى حالة الشدة ، فانه عند انقطاع رجائه عن الكل يرجع الى الله ، ويجد نفسه محتاجة الى شئ ليس كهذه الاشياء طالبة به النجاة ...(٢)

ان فطرة الانسان تتضح حين يمسه الضر، ويسقط عنها ماعلق بها وتزول عنها الحجب المانعة ، وتتكشف عنها الاوهام ، فتتجه الى ربها وبارئها وتنيب اليه وحده ، وهى تدرك تمام الادراك انه لا يكشف الضر غيره ، وما تملك فطرة ان تقول غير هذا ، لانه الحقيقة الواضحة ، وهذا شأن الانسان ، فطرة الله التى فطر الناس عليها .

---

(١) التفسير الكبير ، للفخر الرازى (٢٦ : ٢٨٧) .

(٢) نفس التفسير (٢٥ : ١٢١) .

(٤) الشاهد الرابع :

ولا تقف الدواعي الى الرجوع الى الفطرة ،ودعوة رب العالمين عند المصائب والمحن ،بل هذا الانسان ،اذا اشتدت به الحاجة الى امر من الامور دون ان تصيبه مصيبة ،او ينزل به ضر . . . يلجأ الى الله فى قضائها ،ولنقرأ قوله تعالى : " هو الذى خلقكم من نفس واحدة ،وجعل منها زوجها ليسكن اليها ،فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين "(١) .

هؤلاء لم يكن عندهم مصيبة ولا ضر ،ولكنهم تعطشوا الى ان يكون عندهم ولد ،ولذلك ظهرت فطرتهم واضحة ،وهذا مشاهد فى كل عصر (٢) .

---

(١) الاعراف : ١٨٩ .

(٢) فى تفسير هذه الاية اقوال :

قيل انها عائدة الى آدم وحواء عليهما السلام .

قال الطيبي : ان هذا احسن الاقوال بل لا قول غيره ،ولا معول الا عليه .

وقال الالوسى : ولا يخفى ان المتبادر من صدرها آدم وحواء ،ولا يكاد يفهم غيرهما رأسا .

وعن الحسن وقتادة ان ضمير (جعلا وآتاهما) يعود على الانفس وزوجها من ولد آدم ،وهو قول الاصم . وقد اختار ابن المنير ما مآله هذا فى الانتصاف وادعى انه اقرب واسلم .

انظر تفسير روح المعانى للالوسى (٩ : ١٤١ ،١٤٢) .

(٥) الشاهد الخامس :

وفى هذه المرة لا يقف ظهور الفطرة فى الانسان وفزعه الى مولاه حين تصيبه كارثة،او يمسه ضر،او تشتد حاجته،بل يشهد بالله تعالى عندما يسأل عن خالق السموات والارض،ومسخر الشمس والقمر ...الخ . وقد سجل القرآن اقرارهم هذا فى كثير من آياته .

قال تعالى :" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ".(١)

وقوله :" ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ".(٢)

وقوله :" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ".(٣)

وقوله :" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ".(٤)

---

(١) العنكبوت : ٦١ .
(٢) العنكبوت : ٦٣ .
(٣) لقمان : ٢٥ .
(٤) الزمر : ٨ .

وقوله : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم "(١) .

هذه اعترافات خمسة ، تشهد بثبوت الفطرة ، وصدق الله " بل اكثرهم لا يعقلون " .

يقول الامام الحافظ بن كثير(٢) : ان المشركين معترفون بأن الله وحده هو المستقل بخلق السموات والارض والشمس والقمر . . . وانه الخالق الرازق المستقل بخلق الاشياء ، المتفرد بتدبيرها ، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . . .(٣)

هذا ما تقرر فى فطرهم ، وما تملك فطرة ان تقول غير هذا ، وما يستطيع عقل ان يعلل نشأة السموات والارض الا بوجود ارادة عليا ، فهو يأخذهم ويأخذ العقلاء جميعا بهذه الحقيقة الفطرية الواضحة .(٤)

---

(١) الزخرف : ٩ .

(٢) هو اسماعيل بن عمر القرشي ، ابو الفداء ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه . رحل فى طلب العلم ، وتناقل الناس تصانيفه ، منها البداية والنهاية ، وتفسير القرآن العظيم ، وغيرها . مات سنة ٧٦٧هـ . الاعلام (١ : ٣١٧) .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٢ : ٤٢١) .

(٤) انظر فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، المجلد الخامس (٢٤ : ٣٠٥٣) - دار الشروق ١٣٩٦هـ .

يقول البيضاوى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى " ليقولن الله " : اى لمـــا تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود . " فأنـــى تؤفكون" يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك .

قال الشهاب : يعنى انه راسخ ثابت فى كل عقل اجمالا ،وان لم يعلمـــه بطريق برهانى ،ولا من رسول ،وشرع صدق به ،ولذا ترى كل احد من الكفرة اذا غلبه الخوف لا ينادى صنمه ولا معبوده غير الله ...(١)

(٦) الشاهد السادس :

إن اولئك الذين انغمسوا فى عبادة الاصنام والاوثان مازالت الفطـــــرة تسيطر عليهم حتى فى ضلالهم وكفرهم ،ولنقرأ قوله تعالى " الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان اللـــه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار"(٢) .

فلم تكن عبادتهم اللات والعزى ،ومناة وهبل ،... عبادة لها فى ذاتهـــا انما هى زلفى وقربى لله المعروف لديهم بالفطرة ،الذى له الدين الخالـــص، ولا يقبل الا ماكان خالصا لوجهه .

هذه آيات من القرآن الكريم تشهد ان الانسان مفطور على الايمان بـــرب

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوى (٧ : ١٠٨ ، ١٠٩) .

(٢) الزمر : ٣ .

وخالق ، فهو يعرف الله العزيز العليم . وقد تختفى هذه المعرفة بفعل عوامل طارئة عليها ، فيضل ، وقد تظهر هذه المعرفة بفعل عوامل معينة فيهتدى ولكنه فى كلتا حالتيه ، يرجع الى فطرته ، ولا يطيق الحجر عليها لمدة طويلة فيقر بالله ويتضرع اليه ويسأله ، ويدعوه . . . .

هل احترم الانسان هذه الفطرة ؟

هل احترم الانسان فطرته هذه ، وخضع لمنطقها السليم الذى اضطر اليه فى بأسائه وضرائه ؟ وهل استمر ايمانه بالله تعالى وحده ، الذى استغاث به فأغاثه ، واستجار به فأجاره ؟

كلا انه وقد ازال الله عنه البأساء ، والضراء ، وقضى حاجته ، نسى او تناسى تلك الفطرة التى تنادى بفاطر السموات والارض ، والتى تلح بالنداء بذلك الصوت الالهى المنبعث من اعماق النفس ، ينادى به فى كل حين بالعقيدة الاولى التى هى الفطرة .

غريب هذا الانسان فهو لم يحترم فطرته هذه ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل انه ـ وقد هدأت العاصفة ، وسكن الموج ، وارتاحت نفسه اللاهثة ، واطمأن قلبه ووصل الى شاطئ الامان ـ سعى فى الارض فسادا ، رغم كل ماألم به " فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق . . . "[1] .

---

(١) يونس : ٢٢ .

اما الذين غشيهم الموج كالظلل " فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور "[١].

"فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا "[٢].

" فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق "[٣].

قليل هم الذين يستجيبون لصوت الفطرة، ويحترمون منطقها السليم ويخضعون لسلطانها القاهر في ساعة الشدة، حتى اولئك الذين مسهم الضر نكثوا عهد الله، فاذا فريق منهم بربهم يشركون .

وصدق الله " فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه "[٤].

" ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون "[٥].

حين يذهب الضر، ويخوله الله نعمة منه ويرفع عنه المحنة والبلاء، فانه يعود الى كفره، وينسى تضرعه وانابته الى الله، فيذهب ليفسد في الارض، ويتخذ من دون الله اندادا .

قال تعالى :" واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا "[٦].

---

(١) لقمان : ٣٢ .

(٢) الاسراء : ٦٧ .

(٣) يونس : ٢٣ .

(٤) يونس : ١٢ .

(٥) النحل : ٥٤ .

(٦) يونس : ٢١ .

وقال :" قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون "[١].

وقال : " فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون "[٢].

وقال :" فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون "[٣].

وقال :" ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون "[٤].

حتى اولئك الذين اشتدت حاجتهم فتوجهوا الى الله يسألونه ان ينعم عليهم ويرزقهم المال والبنين ... جحدوا تلك النعمة، وجعلوا له شركاء يحبونهم كحب الله، وعبدوهم كعبادتهم الله او اخلص عبادة، وصدق الله " فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون "[٥].

من اجل هذا جاء الرسل صلوات الله عليهم، لتكميل الفطر وتنبيهها وايقاظها، وتوجيهها، ليس الى ان تعرف الله، لان فى الفطرة معرفة الله تلقائيا وانما الى الرجوع الى الله، وعدم الاعراض عنه، وترك الاراء والاهواء الضالة .

يقول الاستاذ وحيد الدين خان : (ان اكتشاف الله استجابة لنداء داخلى فى الانسان وعندما يظفر الانسان بذلك القبس من المعرفة يفاجأ بصيرورته جزءا من كيانه ... فعلاقته بهذه المعرفة ليست علاقة عقلية، وانما هى علاقة

---

(١) الانعام : ٦٤ .

(٢) الزخرف : ٥٠ .

(٣) الاعراف : ١٣٥ .

(٤) المؤمنون : ٧٦ .

(٥) الاعراف : ١٩٠ .

نفسية . . . وكل مايشكل جزءا نفسيا من كيان الانسان لا يحتاج الى دليل) .[(١)]

والرسل انما جاءت بدعوة التوحيد الخالص، وباخلاص العبودية لله ، ولم يذكر القرآن الكريم ان نبيا واحدا قال لقومه : هناك اله ، او لهذا الكون اله وانما كان خطابهم جميعا الى اقوامهم " . . . اعبدوا الله مالكم من اله غيره " .

قال تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله " .[(٢)]

وقال : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه " .[(٣)]

وقال : " والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله " .[(٤)]

وقال : " والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله " .[(٥)]

وقال : " والى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله " .[(٦)]

وقال : " وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم " .[(٧)]

وقال : " ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله " .[(٨)]

---

(١) الدين فى مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان مراجعة عبد الحليم عويس (ص ٣) ، الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامى ، القاهرة .

(٢) المؤمنون : ٢٣ .

(٣) العنكبوت : ١٦ .

(٤) الاعراف : ٦٥ ، هود : ٥٠ .

(٥) الاعراف : ٧٣ ، هود : ٦١ .

(٦) هود : ٨٤ ، العنكبوت : ٣٦ .

(٧) المائدة : ٧٢ .

(٨) النحل : ٣٦ .

يقول الامام ابن تيمية رحمه الله : (بل الرسل - صلوات الله عليهم - بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين الناس علما وعملا ، وضربت الامثال ، فكملت الفطرة بما نبهتها عليه وارشدتها مما كانت الفطرة معرضة عنه ، او كانت الفطرة قد فسدت بما حصل لها من الاراء والاهواء الفاسدة ، فأزالت ذلك الفساد وبينت ما كانت الفطرة معرضة عنه ...) .(١)

قال ابو حامد الغزالي(٢) : (... ولهذا بعث الانبياء - صلوات الله عليهم - لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا " لا اله الا الله " ، وما امروا ان يقولوا : لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم من مبدأ نشوئهم ، وفي عنفوان شبابهم ، ولذلك قال عز وجل " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " وقال " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها " ، فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان) .(٣)

---

(١) الرد على المنطقيين ، لابن تيمية (ص ٣٨٢) ، الطبعة الثانية .
وانظر مجموع الفتاوى ، المجلد الخامس (ص ٢٦٠) .

(٢) محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف ، ولد بخراسان سنة ٤٥٠ هـ ، ورحل الى الشام والحجاز ومصر وغيرها ، نسبته الى صناعة الغزل او الى غزلة من قرى طوس مات سنة ٥٠٥ هـ . الأعلام (٧ : ٢٤٧) .

(٣) احياء علوم الدين ، ابو حامد الغزالي (١ : ١٠٥) دار المعرفة .

مقارنة بين ما اخترناه وبين المذاهب السابقة

اولا : اذا قارنا بين ما اخترناه وبين المذهب الاول ، فاذا كان المراد بالمذهب الاول ان الانسان مفطور على الاسلام وعقائده جميعا كما هو الظاهر من تفسير كثير من العلماء كابن تيمية وغيره ، كان الفرق واضحا بين ما اخترناه وبين هذا . لان ما اخترناه انما هو ان الانسان مفطور على عقيدة واحدة ، هي عقيدة الربوبية والخالقية ، اما الاسلام في عمومه وشموله فيتناول هذه العقيدة ، وسائر العقائد الاخرى .

اما اذا كان المراد منه - وهو الواجب - الاسلام الذى فطر عليه كل انسان وهو الاسلام في عقيدته الاولى كان ما اخترناه هو هذا المذهب الاول .

ولعلك تدرك ان ما اوردناه على المذهب الاول في عمومه وشموله ، لا يرد على هذا المذهب في تحديده التحديد الثاني بحيث كان هو عين ما اخترناه .

ثانيا : واذا قارنا بين هذا المختار وبين المذهب الثاني ، فالفرق بينهما واضح لان المذهب الثاني : ان الانسان مفطور على الاستعداد لان يعرف ، اما مختارنا فالانسان مفطور على المعرفة في حدود الخالقية والربوبية ، الا اننا - مع ذلك الفرق - نقر هذا المذهب الثاني ، ونقول : ان فيه بعض الحق لان الانسان مفطور على الاستعداد قطعا ، لكنه مفطور على ما هو اكثر من الاستعداد وهو المعرفة بخالقه .

ثالثا : واذا قارنا بين المختار وبين المذهب الثالث ، فان كان المذهب الثالث ما فهم من المناقشة والجدل بين انصاره وخصومه فكان معناه ان فريقا من الناس يفطر على الاسلام ، وفريقا آخر يفطر على اليهودية ، وثالثا يفطر على النصرانية وهكذا بقية الناس ، ان كان المراد هذا فالفرق واضح جدا ، بين المختار وبين هذا المذهب ، لان مختارنا ان الانسان ، كل الانسان مفطور على العقيدة الاسلامية الاولى .

وان كان المراد بالمذهب الثالث ما حققناه اخيرا وهو ان فريقا من الناس مستعد بفطرته لقبول الاسلام ، وفريقا آخر مستعد لقبول اليهودية او النصرانية او غيرها . فالفرق واضح جدا ، لان المختار كما علمت ان الانسان مفطور على معرفة العقيدة الاولى من الاسلام ، وهي الربوبية والخالقية .

رابعا : واما المقارنة بينه وبين المذهب الرابع ، فحديث لغو ، لاننا حققنا فيما مضى ان المذهب الرابع هو عين المذهب الثالث . فالمقارنة بين المختار وبين المذهب الثالث فيه الكفاية .

خامسا : واذا قارنا بين المختار وبين المذهب الاخير ، كان البون ايضا شاسعا فان حاصل المذهب الاخير ان الانسان خلق صفحة بيضاء ، وليس الامر كذلك بل المختار انه خلق مفطورا على العقيدة الاولى .

وبعد : فان ما اخترناه في هذا البحث المتواضع هو الحق والصواب في اعتقادنا ، لانه من لوازم الانسان بحيث لا يستطيع احد ان ينزعه من قلبه

الا اذا حكم على نفسه ان ينفصل عن نفسه ،فان كان ما اخترناه هو الصواب حقـــا فهذا توفيق من الله تعالى ،وفضل منه ،وان كان غيره هوالحق ،فالحق احـــق ان يتبع،وحسبي اني بذلت قصارى جهدى فى البحث والاستدلال والمناقشـــة والمقارنة،وفوق كل ذى علم علـــيم .

الخـاتمـــة

لقد تناولنا فى هذا البحث آراء واقوال العلماء فى المعنى المراد بالفطرة وانهم ذهبوا فى ذلك الى مذاهب كثيرة .

وقد استعرضنا هذه المذاهب، وكانت مذاهب اربعة، وحددنا المفهوم من كل مذهب، واستعرضنا ادلة كل مذهب، وناقشنا هذه الادلة بحيث لم يسلم من الضعف مذهب من تلك المذاهب . اللهم الا المذهب الاول بالتأويل الذى حاولناه .

ثم بعد ذلك اخترنا رأيا وهو ان كل انسان فطر على العقيدة الاولى وهو ان لهذا العالم ربا وخالقا، واقمنا على ذلك الادلة من الكتاب المبين والسنة الشريفة سقناها واضحة بينة .

ثم قارنا بين هذا المختار وبين المذاهب الاخرى فكان الفرق شاسعا بينها وبين ما اخترناه . الا ان نتيجة المقارنة كانت بطلان بعض تلك المذاهب وقصر بعضها عن ادراك كل الحقيقة .

وقد بينا ان ما اخترناه انما هو المذهب الاول وهو مذهب السلف - رضى الله عنهم - بعد تحديده ونفى الشمول الذى تمسك به بعض اصحابه والمستدلون عليه .

وقد خلصنا من هذا البحث الى النتائج التالية :

اولا : العقيدة الاسلامية هى العقيدة الوحيدة التى تتفق مع فطرة الانسان بمعنى انها تقرر مافى فطرته من عجز واحتياج الى الخالق المدبر. وبعبارة اخرى كونها توافق غريزة التدين . لان ماعداها من العقائد اما ان توافق غريزة التدين عن طريق الوجدان لا عن طريق العقل وليست عقيدة عقلية، واما ان تكون عقيدة عقلية ولكنها لا تقرر مافى فطرة الانسان . ولذلك كانت العقيدة الاسلامية هى العقيدة الصحيحة . وهى وحدها التى تصلح لان تكون اساسا صحيحا فى حياة الانسان .

ثانيا : ان هذه الفطرة قد تتعرض لما يحجبها عن طريق الاهتداء الى الله، لكن الانسان فى كل حين لا يبتعد عن سماع نداء الفطرة من الداخل لان الله تعالى اودع فى الفطرة مايهديها الى خالقها عند اول انذار .

ثالثا : ان ماجاء به الرسل، ومايدركه العقل السليم . . . يلتقيان عند نقطة واحدة لا يقاظ الفطرة وتنبيهها وتوجيهها " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر" . (القمر ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

وفى ختام هذا البحث، لا ادعى اننى اتيت بكل شىء، او بما عجز عنه غيرى ولا ازعم اننى قد بلغت فيه مرتبة الكمال، فالكمال لله وحده . والنقص صفة البشر، فان الانسان قد يرى الرأى اليوم فيخالفه غدا، ويتمنى لو قدم او أخر، او زاد او انقص. . . . فكم من قائل يقول : لو انى قدمت هذا لكان احسن، ولو اخرت هذا لكان افضل، ولو حذفت ذلك لكان اجمل، ولو اضفت ذاك لكان اكمل . .

فغاية ما اقول انني لم آل جهدا ، ولم ادخر وسعا ، فقد بذلت كل ما في وسعي ، وحاولت جهدي باحثا مستقصيا لان اخرج الموضوع على احسن ما يمكن ان يكون عليه . فان انا وفقت الى ذلك فهو من عند الله وهو ما قصدت اليه وان قصرت فعزائي ان الكمال لله وحده . وسبحان ربي هل كنت الا بشرا ، وفوق كل ذي علم عليم .. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ...

ثبت المراجع

(١) القرآن الكريم

كتب التفسير

(٢) التفسير الكبير

الرازى ،ابو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشى ،الملقب بفخر الدين الرازى

الطبعة الاولى ،المطبعة البهية المصرية بميدان الازهر بمصر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

(٣) الجامع لاحكام القرآن

القرطبى ،ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى .

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ،القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

(٤) اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن

الشنقيطى ،محمد الامين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى .

مطبعة المدنى ،القاهرة ١٣٩٨ هـ .

(٥) تفسير البيضاوى

البيضاوى ،عبدالله بن عمر البيضاوى .

المكتبة الاسلامية ،ديار بكر تركيا ،الناشر : دار صادر - بيروت .

(٦) تفسير القرآن الحكيم ،المعروف بتفسير المنار

رضا ،الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ،تأليف السيد محمد رشيد رضا .

الطبعة الثانية ،دار المنار ،١٤ شارع لانشا ،١٣٦٧ هـ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ،المعروف بتفسير ابن كثير
ابن كثير،ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،دار احياء الكتب العربية .
(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن
الطبري ،محمد بن جرير الطبري .
شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر،الطبعة الثالثة١٣٨٨هـ.
(٩) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي
المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي
الشهاب، احمد بن محمد الشهاب .
المكتبة الاسلامية ،ديار بكرتركيا ، دار صادر - بيروت .
(١٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
الالوسي ،محمود الالوسي البغدادي .
ادارة الطباعة المنيرية، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
(١١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير
الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد الشوكاني .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر،الطبعة الثالثة
١٣٨٣هـ .
(١٢) في ظلال القرآن
قطب، سيد قطب .
الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(١٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل

الخازن ،على بن محمد ابراهيم البغدادى الخازن .

مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر،الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

كتب الحديث

(١٤) الجامع الصحيح ،وهو سنن الترمذى

الترمذى ،ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .

تحقيق احمد محمد شاكر،مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده،الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

(١٥) سنن ابى داود

الازدى ،سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدى .

تعليق الشيخ احمد سعد على ،مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر الطبعة الاولى .

(١٦) سنن ابن ماجة

القزوينى ،الحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى .

مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ،دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(١٧) سنن الدارمى

الدارمى ،ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى .

دار احياء السنة النبوية الشريفة .

(١٨) سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى

النسائى ،ابو عبدالرحمن : احمد بن شعيب بن على بن بحربن سنـــان النسائى .

المطبعة المصرية بالازهر ،الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(١٩) صحيح البخارى

البخارى ،محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى .

تصوير عن النسخة السلطانية التى صار الطبع عليها .

(٢٠) صحيح مسلم

النيسابورى ،ابو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى .

تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ،دار احياء التراث العربى ،بيروت ـ لبنـــان

الطبعة الاولى ١٣٧٥هـ .

(٢١) صحيح مسلم بشرح النووى

النووى ،يحيى بن مرى الحازمى الشافعى النووى .

المطبعة المصرية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ .

(٢٢) عمدة القارى شرح صحيح البخارى

العينى ،بدر الدين ابى محمد محمود بن أحمد العينى .

ادارة الطباعة المنيرية ،الناشر محمد امين دمج ـ بيروت ـ لبنان .

(٢٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى

العسقلانى ،احمد بن على بن حجر العسقلانى .

تحقيق عبدالعزيز بن باز ،المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر ١٣٨٠هـ .

(٢٤) المسنـــد

الشيبانى ،للامام احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى .

شرح احمد محمد شاكر،دار المعارف بمصر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(٢٥) الموطـــأ

الاصبحى المدنى ،ابو عبدالله مالك بن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى

المدنـــى .

تصحيح محمد فؤاد عبدالباقى ،مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، دار

احياء الكتب العربية ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م .

كتب العقيدة

(٢٦) احياء علوم الدين

الغزالى ،الامام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى .

دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ـ لبنان .

(٢٧) العقائد الاسلامية

سابق ،سيد سابق .

دار النصر للطباعة والنشر ،الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٢٨) العقائد النسفية

النسفى ،عمر بن محمد النسفى .

مطبعة ونشر مكتبة المثنى ـ بغداد .

(٢٩) العقيدة والاخلاق واثرهما فى حياة الفرد والمجتمع
بيصار، الشيخ محمد عبدالرحمن بيصار .
الطبعة الرابعة ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ١٩٧٣م .

(٣٠) الفرق بين الفرق
البغدادى، صدر الاسلام الاصولى عبدالقادر بن طاهر بن محمد البغدادى
الاسفرائينى التميمى .
تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، نشر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح
واولاده بميدان الازهر، مطبعة المدنى ـ القاهرة .

(٣١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل
الظاهرى، الامام ابى محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى .
الناشر، مكتبة المثنى ببغداد .

(٣٢) الله فى العقيدة الاسلامية
البنا، الامام الشهيد حسن البنا .
منشورات العصر الحديث، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

(٣٣) الايمـــان
ابن تيمية، شيخ الاسلام احمد تقى الدين بن عبدالحليم بن عبدالسـلام
ابن تيمية .
تصحيح وتعليق الدكتور محمد خليل هراس، دار الطباعة المحمدية بالازهر
بالقاهرة . الناشر : مكتبة انصار السنة المحمدية بمصر .

(٣٤) الملل والنحل

الشهرستاني ،الامام ابى الفتح عبدالكريم الشهرستانى .

مكتبة المثنى - بغداد .

(٣٥) المواقــف

الايجى ،الامام القاضى عضد الدين عبدالرحمن بن احمد الايجى .

بشرحه للمحقق الشريف على بن محمد الجرجانى ،الطبعة الاولى مطبعـــة

السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٢٥هـ .

(٣٦) النبوة والانبياء فى ضوء القرآن

الندوى ،ابو الحسن على الحسنى الندوى .

الدار السعودية للنشر - جدة - الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٧هـ .

(٣٧) النجاة فى الحكمة المنطقية والطبيعة الالهية

ابن سينا ،ابو على الحسين بن سينا .

مكتبة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر - الطبعة الثانيـــة ١٣٥٧هـ/

١٩٣٨م - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

(٣٨) تاريخ المذاهب الاسلامية

ابو زهرة ،الامام محمد ابو زهرة .

مطبعة السعادة بمصر ،ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى .

(٣٩) حاشية الباجورى على شرح ابن قاسم

الباجورى ،ابراهيم بن محمد الباجورى .

القاهرة ١٣٢١هـ .

(٤٠) حاشية السيالكوتى على المواقف
السيالكوتى ، عبد الحليم السيالكوتى .
الطبعة الاولى - مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ .

(٤١) حاشية الفنارى ، على كتاب المواقف
الفنارى ، المولوى حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى .
الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ - مطبعة السعادة .

(٤٢) رسالة التوحيد
عبده ، الشيخ الامام محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمانى .
القاهرة ، مكتبة الجامعة الازهرية ١٣٨٦هـ/١٩٥٦م .

(٤٣) شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل
ابن القيم ، محمد بن ابى بكر الزرعى الدمشقى الشهير بابن قيم الجوزية .
تصحيح محمد بدر الدين ابو فراس النعسانى ، مكتبة الرياض الحديثة
الرياض ، الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ .

(٤٤) عقيدة المسلم
الغزالى ، الشيخ محمد الغزالى .
القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، بغداد ، مكتبة المثنى ، الطبعة الخامسة
١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

(٤٥) قصة الايمان بين العلم والفلسفة والقرآن
الجسر ، الشيخ نديم الجسر .
الطبعة الثالثة ، بيروت ، المكتب الاسلامى ، لبنان ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

(٤٦) محاضرات فى النصرانية

ابو زهرة ،الامام الشيخ محمد ابو زهرة .

دار الفكر العربى ،الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٤٧) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية

جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى .

الطبعة الاولى ،مطبعة الرياض سنة ١٣٨١هـ من المجلد الثانى الــــى

المجلد الثامن .

كتب الاصول

(٤٨) الاحكام فى اصول الاحكام

الامدى ، سيف الدين ابى الحسن على بن ابى على بن محمد الامدى .

تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفى ،تصحيح الشيخ عبدالله بن غديان ،وعلــى

الحمد الصالحى ،الطبعة الاولى ١٣٨٧هـ .

(٤٩) اصول الفقه

ابو زهرة ،الامام الشيخ محمد ابو زهرة .

دار الفكر العربى ،القاهرة .

كتب المنطق

(٥٠) الرد على المنطقيين

ابن تيمية ، تقى الدين ابى العباس احمد بن تيمية الحرانى .

طبعه ونشره : ادارة ترجمان السنة . لاهور باكستان ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

(٥١) المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم

حجازى ، عوض الله جاد حجازى .

دار الطباعة المحمدية بالازهر - القاهرة - الطبعة الرابعة .

كتب اللغة

(٥٢) التعريفات

الجرجانى ، على بن محمد الشريف الجرجانى .

طبع مكتبة لبنان - بيروت ١٩٦٩م .

(٥٣) اساس البلاغة

الزمخشرى ، محمود بن عمر الزمخشرى .

دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث ، الطبعة الثانية

القاهرة ١٩٧٢م .

(٥٤) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير

الفيومى ، احمد بن على بن محمد الفيومى .

تصحيح مصطفى السقا ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٦٩هـ .

(٥٥) القاموس المحيط

الفيروز ابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى .

مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

(٥٦) تاج العروس من جواهر القاموس

الزبيدى ، محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٠٦هـ ، دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان .

(٥٧) لسان العرب

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى .

المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ١٣٠٨هـ .

(٥٨) مفردات الراغب ، المفردات فى غريب القرآن

الاصفهانى ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى .

تحقيق محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر - الطبعة

الاخيرة ١٣٨١هـ .

(٥٩) معجم متن اللغة

موسوعة لغوية حديثة للشيخ احمد رضا .

دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

(٦٠) معجم مقاييس اللغة

احمد بن فارس بن زكريا .

تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون . دار احياء الكتب العربية

القاهرة ١٣٧١هـ .

كتب التراجم

(٦١) الاصابة فى تمييز الصحابة

ابن حجر، احمد بن حجر العسقلانى .

طبعة جديدة بالاوفست عن الطبعة الاولى بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨هـ - الناشر مكتبة المثنى - بغداد .

(٦٢) الاعلام

الزركلى، خير الدين الزركلى .

مطبعة كوستاتوماس وشركاه - الظاهر بالقاهرة ١٣٧٣هـ .

(٦٣) تاريخ بغداد

البغدادى، احمد بن على الخطيب البغدادى .

تصوير بالاوفست، دار الكتاب العربى ببيروت .

(٦٤) تذكرة الحفاظ

الذهبى، الامام ابى عبدالله شمس الدين الذهبى .

دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

(٦٥) تهذيب التهذيب

ابن حجر، احمد بن حجر العسقلانى .

دار صادر بيروت، تصوير بالاوفست عن مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

(٦٦) دائرة المعارف الاسلامية

اصدرها بالانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ائمة المستشرقين فى العالم .

النسخة العربية اعداد ابراهيم زكى خورشيد ، احمد الشنتناوى ، د . عبد الحميد يونس . دار الشعب .

(٦٧) طبقات الحفاظ

السيوطى ، عبدالرحمن بن ابى بكر .

تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

(٦٨) معجم المؤلفين

كحالة ، محمد رضا كحالة .

مكتبة المثنى - بغداد ، دار احياء الكتاب العربى - بيروت .

(٦٩) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال

الذهبى ، محمد بن احمد عثمان الذهبى .

تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر .

كتب اخرى

(٧٠) الانسان ذلك المجهول

كارل ، الكسيس كارل .

تعريب : شفيق اسعد فريد ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، لبنان ١٩٧٤م .

(٧١) التمهيـــــد
الباقلانى ،الامام القاضى ابى بكر بن محمد بن الطيب بن الباقلانى .
المكتبة الشرقية ،بيروت ١٩٥٧م .
(٧٢) الدين ،بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان
دراز ،محمد عبدالله دراز .
مطبعة السعادة ،القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
(٧٣) الدين فى مواجهة العلم
وحيد الدين خان .
ترجمة ظفر الاسلام خان ،مراجعة عبدالحليم عويس،المختار الاسلامـــــى
القاهرة ،الطبعة الثالثة .
(٧٤) الشخصية الاسلامية
نبهانى ،الشيخ تقى الدين النبهانى .
القسم الاول ،مطبوعات دار السياسة ،بيروت ،لبنان .
(٧٥) الطب النبوى
ابن القيم ،محمد بن ابى بكر بن ايوب الزرعى الدمشقى ،المعروف بابن القيم .
مراجعة وتصحيح عبدالغنى عبدالخالق . دار الحكمة - بيروت .
(٧٦) الطب محراب الايمان
جلبى ،خالص جلبى .
دار الكتب العربية - بيروت - طبعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٧٧) العلم يدعو الى الايمان

موريسون ، كريس موريسون .

ترجمة محمد صالح فلكى ، تصدير احمد حسن الباقورى ، تقديم احمد زكـــى

الطبعة السادسة ، القاهرة ، نيويورك مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

(٧٨) الله يتجلى فى عصر العلم

تأليف نخبة من العلماء الاوربيين . اشرف على تحريره جون كلوفر مونما .

ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان ، راجعه وعلق عليه محمد جمال الدين

الفندى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ م .

(٧٩) الموسوعة العربية الميسرة

اشراف محمد شفيق غربال .

الطبعة الثانية ، دار الشعب ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

(٨٠) تلبيس ابليس ، او نقد العلم والعلماء

ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على بن الجوزى .

تحقيق خير الدين على ، بيروت دار الوعى العربى .

(٨١) دائرة المعارف

بستانى ، بطرس البستانى .

بيروت ، دار المعرفة .

(٨٢) دستور الاخلاق فى القرآن

دراز ، محمد عبدالله دراز .

تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبدالصبور شاهين . مراجعة دكتور السيد محمد بدوى مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٨٣) صيد الخاطر

ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن الجوزى .

مراجعة وتعليق على الطنطاوى ، تحقيق ناجى الطنطاوى ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٨٤) عبقرية العرب فى العلم والفلسفة

فروخ ، عمر فروخ .

الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(٨٥) فى الدين المقارن

محمد كمال ابراهيم جعفر .

دار الكتب الجامعية ١٩٧٠م .

(٨٦) قصة الفلسفة

ويل ديورانت .

ترجمة احمد الشيبانى ، منشورات المكتبة الاهلية - بيروت .

(٨٧) مجموعة الرسائل

البنا ، الامام الشهيد حسن البنا .

بيروت ، دار القرآن الكريم ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

(٨٨) مجموعة الرسائل الكبرى

ابن تيمية ، تقى الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية .

دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٨٩) مذكرة مادة المذاهب الفكرية المعاصرة

قطب ، محمد قطب .

محاضرات القاها لطلبة " فرع العقيدة " عام ١٣٩٧هـ/ ١٣٩٨هـ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية العليا ، بجامعة الملك عبد العزيز .

(٩٠) مذكرة مادة المذاهب الفكرية المعاصرة

هويدى ، يحيى هويدى .

اصدرتها جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

(٩١) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ، المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون

التهانوى ، الشيخ المولوى محمد بن اعلى التهانوى .

بيروت ، شركة خياط للطباعة والنشر .